أدب المهجر

أدباء وشعراء
مَهْجريّون مَنسيّون

د. حسّان أحمد قمحية



الطبعة الثانية



شعراء وأدباء

مَهْجريّون مَنْسيّون



Dar Al Hiwar

Syria, Lattakia

P.O.Box: 1018

Tel: +963 41 2422339

Fax: +963 41 2422339

daralhiwar@gmail.com

دار الحوار للنَّشْر والتّوزيع

سوريَّة، اللاذقيَّة

صندوق بريد: ١٠١٨

هاتف: ٩٦٣٤١٢٤٢٢٣٣٩

فاكس: ٩٦٣٤١٢٤٢٢٣٣٩

شعراء وأدباء
مهجريّون منسيّون

جورج أطلس، حسني عبد الملك، داود شكّور

جمع المادّة الأدبيّة وقدّم لها واعتنى بها

د. حسّان أحمد قمحية





الطبعة الثانية – ٢٠٢٤ م

الطبعة الأولى – ٢٠٢٢ م

الفهرس



مقدّمة الطبعة الثانية

مضى على صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب نحوًا من سنتين. وقد عدتُ إليه مدقِّقًا ومنقِّحًا قبلَ إصدار طبعة جديدة منه. كما أضفتُ إليه بعضَ اللمسات الفنّية الإخراجية.

ومع أنّني أفردتُ كتابًا مستقلًّا للأديب جورج أطلس جمعتُ فيه شعرَه في ديوان حملَ اسمَه، لكنّني أبقيتُ في هذا الكتاب ما كتبتُه عنه من قبل وما وجدتُه حينئذٍ من شعره وقصائده.

حسّان أحمد قمحيّة

الرياض، شباط/ فبراير ٢٠٢٤ م



مقدّمة الطبعة الأولى

لا شكّ عندي أنّ عددَ الأدباء والشعراء الـمهجريّين السوريين أكبرُ بكثير ممّا ذكره الأديبُ والشاعر جورج صيدح فـي كتابه «أدبنا وأُدَباؤنا فـي الـمَهاجِر الأمريكيَّة»، فقد ذكر أنّ عددَ الذين درسهم فـي ذلك الكتاب ثلاثون أديبًا[1]. ولكن، يمكن الاطّلاع على بعض الـمجلّات والصُّحُف الـمهجريّة، وهي كثيرةٌ تصل إلى نحو ١٨٠ مجلّة، ليتبيّنَ مصداقُ ذلك، حيث نجد أدباء وشعراء لم يُجمَع نتاجهم ولا حظيَ بالاهتمام. كما أنّ بعضَ كتب الـمهجر تشير إلى أدباء لم يُذكروا أو أُغْفلوا فـي الطبعة الرابعة من ذلك الكتاب، ومنهم بَدْري فركوح وجورج أطلس وسليمان ربّوع ... إلخ. ويمكن العودة – على سبيل الـمثال – إلى كتاب «ذِكْرى الهِجْرة (رسالة الـمُهاجرين السُّوريين واللُّبْنانيين إلى إِخْوانهم الـمُتَخلِّفين – اعترافات وإذاعات)»، للأديب والشاعر الـمهجري تَوفيق فَضْل الله ضَعُون الصادر فـي سان باولو بالبرازيل سنةَ ١٩٤٦ م، للوقوف على عدد من أدباء الـمهجر السوريين الذين لم يرد ذكرُهم فـي مراجع الأدب الـمهجري الأخرى.

فـي هذا العمل الجديد، حاولتُ أن أجمعَ ما أستطيع من نتاج بعض أدباء الـمهجر وشعرائه، لاسيّما الشعر، باذلًا جهدًا كبيرًا فـي تتبُّع ما وجدتُه فـي صُحُف الـمهجر وكتبه، ثمّ رتّبت القصائدَ حسب القوافـي والبحور، وضبطتُ النصوصَ الشعرية وذكرتُ مناسباتِها – إن وُجِدَتْ – وشرحتُ بعضَ الـمفردات التي ارتأيتُ أنّها بحاجة إلى شرح، كما قدّمتُ لحياة

---

[1] انظر: أَدبُنا وأُدَباؤنا فـي الـمَهاجِر الأمريكيَّة، جورج صيدح، الطبـعـة الرابعة، مكتبة السَّائح، طرابلس، لبنان، ١٩٩٩ م، ص٦.



الشاعر متحدّثًا عمّا أُتيحَ لي من سيرته الذاتية والشعريّة. وقد شمل عملي هذا ثلاثةً من هؤلاء الأدباء، وهم جورج أطلس وحسني عبد الـملك وداود شكّور. وقد كنتُ أتمنّى أن يكونَ ما جمعتُه كافيًا للخروج بديوان منفصل لكلٍّ منهم، ولكنّ ذلك تعذّر عليّ، فجعلتُ لهم كتابًا واحدًا. وأرجو أن يتيسّر لي أن أحصلَ على الـمزيد من نتاجهم الأدبـي الشعري فـي الـمستقبل، لأتوسّعَ فـي هذا الكتاب أو أجعل منه ثلاثةَ دواوين.

وقبلَ أن أنتهي أريد أن أشير إلى أمرٍ مهمّ، فقد انتظرت مدّة طويلة قبلَ أن أقرّر إصدارَ هذا الكتاب، على أمل أن أجدَ الـمزيد من نتاج الأدباء الـمذكورين. ولكن، بدا لي أنّ إصداره الآن قد يكون مفيدًا للمَعْنيين والـمهتمّين بدراسة الأدب الـمهجري من خلال توفير هذه الـمادّة الأدبية الـمهجرية، ولا بأس بإصدار طبعات جديدة منه إذا توفّرت معلوماتٌ جديدة عن أولئك الأدباء.

وفـي الختام، آمل أن يجدَ عملي هذا صدًى طيّبًا لدى دارسي الأدب الـمهجري ومُتابعيه، وأن يكون لَبِنةً جديدة من لَبِنات هذا الأدب الجميل.

والله وليّ التوفيق.

حسّان أحمد قمحيّة

الرياض، شباط/ فبراير ٢٠٢٢ م

الأديبُ والشاعر الـمَهْجَري

جورج أطْلَس (راشد ندّاف)





تشير الـمصادرُ إلى أنّ الأديبَ والشَّاعِر الـمَهْجَري جُورج أَطْلَس قد ألقى الكثيرَ من الخطب، ونظم قدرًا وافرًا من الشعر، لكنّه متناثرٌ هنا وهناك. وقد تعقّبتُ ذلك بما تيسّر لـي من مصادر ومراجع، ولكن لم أحظَ بأكثره لتعذُّر الوصول إلى تلك الـمصادر التي تمثّلها مجلّاتُ الـمَهْجر وصحفه. لقد ذكرت الأديبةُ والشاعرة سلوى سلامة، زوجة جُورج أَطْلَس الثانية، فـي كتاب «الكلمات الخالدة» الذي جمعَتْ فيه بعضًا من خطبه وكلماته أنّها ستجمع مقالاتِه وخطبَه الأخرى وقصائدَه فـي كتابٍ مستقلّ، ولكن ليس هناك - فيما أعلم - ما يدلُّ على أنَّ هذه الرغبةَ قد تحقَّقت لها.

حَياتُه وسيرتُه

وُلِدَ الأديبُ والشَّاعِر الـمَهْجَري راشِد مِيخائِيل سَمْعان ندَّاف (الـمَشْهُور باسم جُورج أَطْلَس)[1] فـي حِمْص سنةَ ١٨٧٢ م، وبقيَ فيها حتَّى السَّابعة من عمره. وهو يشير فـي مذكَّراتِه إلى أنَّ الشقاءَ قضى باختطافِ والدتِه وهو فـي الثانية من عمره، فتزوَّج والدُه بخالتِه أختِ أمِّه بعدَ وفاتها بشهرين، وكانت قاسيةً عليه حتَّى النِّهاية.

[1] لُقِّبَ بجورج أَطْلس لبراعتِه فـي الرياضيَّات ورسم الـمصوَّرات (انظر: مُعْجَم أَعْلام النِّساء، محمَّد التونجي، الطبعة الأولى، دار العِلْم للمَلايين، بَيْروت، لبنان، ٢٠٠١ م، ص١٠٦). ولكنّ الأديب الـمهجري توفيق ضعون يذكر غير ذلك، حيث يقول: "وُلِد راشد نداف فـي حمص، وظلَّ مَعْروفًا بهذا الاسم حتّى ماتَ فـي شمالي أمريكا، وتقمّص فـي شخص جورج أَطْلس الذي لم يجرِ عليه حكمُ الولادة. وقد غادر أولادَه الخمسة فـي عُهْدة شقيقة له فـي الولايات الـمتّحدة بعدَ وفاة زوجته الأولى، وبقيَ بعيدًا عنهم حتّى وفاته". وبناءً على ذلك قال عن هاتَيْن الشخصيّتين: "إنّهما كائنان حِكايتهما من الخوارِق، فالأوَّل وُلدَ ومات دون أن يُلحَد، والثانـي مات دون أن يُولَد"؛ (انظر: ذِكْرى الهِجْرة (رسالة الـمُهاجرين السُّوريين واللُّبْنانيين إلى إخْوانهم الـمُتَخلِّفين - اعترافات وإذاعات)، تَوْفيق فَضْل الله ضَعُون، سان باولو، البرازيل، ١٩٤٦ م، ص٣١٤، ٣١٨).



يقول جورج أَطْلَس عن تلك السَّنوات السَّبْع: "صَرفتُ مِنْها الخَمْسَ الأُوَل فـي الـمَدرسَة العائليَّة (يقصد بيتَ أسرته) والاثنتَين الأُخْرَيَيْن فـي الـمدرسة لم أتعلَّمْ فـي خلالهما إلّا حملَ الفحم إلى الـمدرسة أيّام الشتاء، وحملَ أطباق الخبز إلى الفرّان أيّامَ الصيف، وحملَ ابن معلّمي والقراءة البسيطة الـمكسَّرة. ولـم يكن هذا لنقصٍ فـي ذَكائي، بل لأنّه لم يكن إذ ذاك أكثر من ذلك لأتعلّمه"[١].

وفـي نهاية السنة السابعة من عمره سافرَ إلى "سُوق الغَرْب بطَنْطا فـي مصر، حيث كان والدُه مُقيمًا هناك. وفـي طنطا أُدخِلَ فـي الـمدرسة الأمريكيَّة إذ تَلقَّى الابنُ تَعْليمًا تَبْشيريًا أَمريكيًا"[٢]. وهو يقولُ عن نفسه: "كان حَظِّي من الأساتذة فيها كحظِّي فـي حمص، فكنت إذا سألتُ الأستاذ عن أحرف العلَّة التي شرحها لـي والدي فـي البيت يجيبني بقوله: «عِلَّة تعلّك، هو يا حمار فـي أحرف علَّة وأحرف صحَّة؟ وجع فـي عينك! الأحرف ما تمرضشي، دايمًا صحيحة»"[٣].

وبناءً ما سبقَ نرى أنَّ جورج أَطْلَس يتكلَّم عن هذه الـمَرْحلة متألِّـمًا فيقول: "قلتُ ماتَ فـي قلبي حبُّ العلوم اصطلاحًا فقط، لأنَّه لم يكن وقتئذٍ فـي الـمدرسة علومٌ لأحبَّها. وكان

---

١ انظر: الكلمات الخالدة، سلوى سلامة، سان باولو، البرازيل، ١٩٢٣ م، ص١١.

٢ انظُرْ: MAKING NATIONS, IN THE MAHJAR: SYRIAN AND LEBANESE LONG-DISTANCE NATIONALISMS IN NEW YORK CITY, SÃO PAULO, AND BUENOS AIRES, 1913-1929، ستاسي د فَهْرنثولد Stacy D Fahrenthold (رسـالَة دكتُوراه فـي التاريخ)، جامعَة نُورثستيرن Northeastern University، بُوسطُن، ٢٠١٤ م، ص٢٤٩.

٣ انظر: الكلمات الخالدة، سلوى سلامة، ص١١.



يجب أن أقولَ إنَّني صرتُ «كجُلْمود صخرٍ حطَّه السيلُ من عَلِ». فكنتُ إن أثنى عليَّ الـمعلِّم لِحفْظي الدرسَ لا أفتخر، وإن قاصَّني لعدم حفظي الدرسَ لا أتأثَّر؛ وزادنـي نفورًا من العلم قسوةُ الـمعلِّمين وصَرامةُ الوالدين. ولا يَعْجب القارئُ إذا قلتُ له: إنَّ والدي ومعلّمِيَّ كانوا أكثرَ مهارةً بفنِّ الضرب منهم بفنِّ التدريس"[1]. إذًا، كان جُورج أَطْلَس لا يَرَى إلّا الضربَ أَيْنما ذهب، فـي البيتِ وفـي الـمدرسة وفـي السُّوق، ضربٌ على ضرب.

يذكر جورج أطلس أنَّ والدَه كان ذكيًّا ومتعلِّمًا، ومحبًّا لكلِّ ما هو علمٌ وفنّ. لكن، كان – كما يقول – كغيره من آباء تلك الأيَّام لا يعطي حرِّيةَ الكلام لابنه أو يسمح له بسؤالٍ علمي ما، بل كل ما كان ينتظره منه الطاعةَ إذا أمر والسكوتَ إذا حضر، ثمَّ يريده أن يكونَ شاعرًا وفيلسوفًا وخطيبًا دون تنشيط أو تدريس أو تَمْرين.

استمرَّت الحالةُ بالنسبة للأديب جورج أَطْلَس على هذا الـمِنْوال حتَّى إرسالِه ليدرسَ على يد الأستاذ والشاعر عبد الله فريج فـي طنطا، حيث تعلَّم منه بعضَ مبادئ النحو العربيَّة والإنكليزية والفرنسيَّة، وكان عَطُوفًا وَدودًا معه.

وفـي الخامسة عشرة من عمره هاجر إلى أميركا الشّمالية، وهناك التقطَ من آداب أهلها ما تمكَّن من التقاطه بلغةٍ غريبة عنه، وانكبَّ على الدَّرْس معتمدًا على نفسه، وصقلَ مواهبَه، وشعرَ بأنَّه يميلُ إلى الخطابة، حتَّى إنَّه فـي إحدى الـمرَّات دخل إلى غرفته وصَفَّ الكراسي فيها كأنَّ عليها رجال الفضل والعلم، ووقف خطيبًا متخيِّلًا أنَّ الكراسي ملآنة وأن الحضورَ يبسمون لكلماته ويصفِّقون له. وفـي مرَّةٍ ثانية وقفَ خطيبًا فـي الشارع (كما هي العادة فـي

[1] انظر: الكلمات الخالدة، سلوى سلامة، ص١٢.



أمريكا) فخطبَ بما أَمْلَته عليه معارفُه. وهو يذكر أنَّه حُمِلَ على الأكتاف فـي ذلك الحين من مواطني وطنه، وصار صديقًا لكلِّ ناطقٍ بالضاد فـي تلك البلاد.

وبعدَ ذلك واصل جورج أَطْلَس دروسَه فـي مدرسةٍ عالية، وتيسَّر له دخولُ جامعة أكسفورد. وصار يكتب بالإنكليزيَّة مقالاتٍ عن الشرق نَشَرتها كبرى الصُّحُف هناك، وأخذ يتقاضى عليها مكافآتٍ كبيرةً صرفَ منها على دروسه، وساعد منها والدَه الـمسنّ وخالته فـي مصر. وبعدَ ثلاث سنوات من دخول الجامعة، وجدَ أنَّه قد أصبحَ شخصًا مختلفًا، كمن وُلِد من جديد، فرأى الدنيا ضيِّقةً أمامَ مواهبه ومطاليب نفسه؛ فصار يعملُ ويعيش بقلمه الـملتزِم وبلسانه السـيَّال وسرعة خواطره وشجاعته. ولقد أنكر عليه بعضُ أصحابه الشَّرقيين صراحتَه الصَّادقة.

طلبت إدارةُ الـمهاجرة من جورج أَطْلَس أن يكونَ ترجمانًا فيها، فقَبلَ وأخذ يسافر فـي البواخر إلى ليفربول لتخليص الـمهاجرين من أيدي بعض السَّماسرة. وكانت معرفتُه بعددٍ من اللغات تساعده على ذلك، فقد كان يعرف الإنكليزية والفرنسيَّة واليونانية والألـمانية والبولونية والتركية والإسبانية والإيطالية، حيث درس هذه اللغاتِ فـي الـمدارس وعلى معلِّمين خصوصيين. كما عُيِّن قِسِّيسًا وواعظًا لكنيسة بوسطن سنةَ ١٩٠٤ م، فكانت معرفتُه بكلٍّ من اللاتينية والعبرانية والسريانية والعربيَّة تساعده فـي وظيفته هذه، ومن أجلها درسَ اللاهوت، وتعمَّق فـي دَرْس الكتاب الـمقدَّس عملًا بوصية أبيه الذي كان قِسِّيسًا فـي طنطا ليكونَ خلفًا له فـي الوظيفة الرِّعائِيَّة.

وفـي سنة ١٩٠٦ م، تزوَّج جورج أَطْلَس من أنيسة شاهين من قرية أَبلَح فـي قضاء البقاع



بلبنان، حيث تعرَّفَ إليها فـي لِفَرْبول، وكانَ حظُّه بذلك الزواج - مثلما جاء فـي مذكَّراته - حظَّ سعادةٍ ووفاق، ورُزِق منها خمسة أولاد، أربعة صبيان وابنةٌ واحدة. لكنَّ يدَ الـمنون اختطفت أمَّ أولاده على إثر ولادة توأمين بعدَ زواجه بها بسبع سنوات، أي سنة ١٩١٣ م، فحزنَ عليها حزنًا شديدًا، ونظمَ فـي رثائها بعضَ القصائد التي - للأسف - لم أجدها.

وفـي السنة نفسها، سنة ١٩١٣ م، سافرَ إلى سوريَّة للتجارة، "بعدَ أن تركَ أولادَه الخمسة فـي عُهْدة شقيقة له فـي الولايات الـمتّحدة"[١]. وكان قد سمعَ بالأديبة سلوى سلامة، إحدى بنات مدينته حمص، ولها شهرتُها كتابةً وخطابةً ونظمًا، فقصدَها للتعرُّف إليها، وفـي قلبه ميلٌ لها قبلَ أن يَراها، فأَنِسَ لها وكانت فاتحةَ خير له، حيث زالت غشاوةُ اليأس من عينيه وعادت إليه الثقةُ بنفسه، فآنست ما انتاب قلبَه من الوحشة والأحزان، وساعدَتْه - كما يقول - على إظهار مواهبِه، فأصبحَ قريرَ العين؛ وأخذ يكتبُ باللغة العربية بعدَ تعزيز معارفه فيها. لقد أصبحت الأديبةُ سلوى سلامة معلّمتَه وعونَه على ترجمة أفكاره إلى لغة آبائه وأجداده. وبعدَه زواجِه بها فـي حمص فـي ٣٠ كانون الثانـي/ يناير سنةَ ١٩١٣ م، ذهبا للسِّياحة فـي لبنان وسُوريَّة ومصر وأوروبا، واستمرَّت تلك السِّياحةُ سنةً، من ٩ آذار/ مارس إذ ودَّعا حمص إلى ٦ آذار/ مارس إِذْ دخلا البرازيل. وفيها احتَفت الجاليةُ بهما احتفاءً باهرًا. وبعد أن عوَّلا على السفر إلى كندا، اشتعلت الحربُ العالـميَّة الأولى سنةَ ١٩١٤ م، فلم يتسّر لهما ذلك، كما لَـمْ يعودا قادِرَيْن على الرُّجُوع إلى الوَطن، فاضْطُرا إلى البقاء فـي سان باولو، وفيها أصدرا

---

[١] انظر: ذكرى الهجرة (رسالة الـمُهاجرين السُّوريين واللُّبْنانيين إلى إِخْوانهم الـمُتَخلِّفين - اعترافات وإذاعات)، توفيق فضل الله ضَعُون، ص٣١٤.



مجلّة «الكَرْمَة» التي كانت سلوى سلامة رئيسةَ تحريرها، وقد ثابرَتْ على إصْدارِها منفردةً حتّى وفاتها سنةَ ١٩٤٩ م.

رحل جورج أطلس عن البرازيل إلى الأرجنتين، وتوفـّي بالسكتة القلبية وهو في الفندق بعد أن أعدّ خطابًا لإلقائه فـي صالة سوينا فـي بوينس آيرس فـي ٢٦ كانون الثانـي/ يناير سنةَ ١٩٢٦م.

من الأمور التي تَنبَّه إليها الأَديبُ جورج أطلس، وكان فيها ذا رؤيةٍ ثاقِبة ورأيٍ سديد، قولُه – وهو يتحدَّث عن سيرته الذاتيَّة، ويُلْقي باللوم على تَقْصير الكِبار –: "كان ذكاءُ الأَحْداث نارًا آكِلة، ورجالُ عِلْم تلك الأَيَّام وأساتذة الـمَدارِس لم يتمكَّنوا من إطفائها أو تحويلها إلى نور، فاندلعَت ألسنتُها إلى ما حولها، وأحرقت كلَّ ما وصلت إليه، وتحوَّلت الفِطْنةُ إلى ما كان يدعونه شيوخُ تلك الأَيَّام «شَيْطنة وعَفْرتة وغضب»"[١].

ثمَّ عقَّبَ وبَنى على حَديثِه السابق، فقال: "وهكذا كانَ حظِّي ككَثيرين من أَتْرابـي. قوَّة غيرُ مُلْجِمة تهدم مـا حَولها. كنتُ أَيْنما سرتُ أَسْمع كلمة «شقي» عوضًا من كلمة ذكيّ، وعوضًا عن كلمة «فَطِن» كلمة شيطان، فماتَ فـي قلبي حبُّ العُلوم إذ اعتقدتُ أنَّ كلَّ بادرة وذكاء تُسـمَّى شَيْطنة"[٢].

قال عنه أدهم آل جندي: "كان على جانبٍ كبير من العلم والثقافة، مفرطَ الذكاء والنباهة،

[١] انظر: الكلمات الخالدة، سلوى سلامة، ص١٢.

[٢] انظر: الكلمات الخالدة، سلوى سلامة، ص١٢.



شجاعًا جريئًا، لا يهاب أحدًا، امتاز بعقيدته الوطنية، وجاهرَ بها بلسانه وقلمه يومَ كان لا يجرؤ على الجهر بها أحد، وقد غرسَ فـي نفوس الـمغتربين حبَّ الوطن. ونظـرًا لحبـّه الكبير لعبد الحميد الزهراوي فقد أصدر فـي البرازيل جريدةً سمّاها باسمه (جريدة الزهراوي)، وكانت أسبوعية، صدر أوّلُ عدد منها بتاريخ ١٤ أيلول/ سبتمبر ١٩١٤ م"[١]. وكانت جريدةُ الزهراوي رائدةً فـي تبنّي القضايا الوطنيّة والدفاع عنها فـي الـمهجر البرازيلي. ولكنّ الأديبَ الـمَهْجري تَوْفيق ضعون كان له رأيٌّ آخر فـي هذه الجريدة، فقد قال عنها مشيرًا إلى مُؤسّسها: "وراحَ يضمّنها آراءَه الـمتطّرفة فـي السِّياسة والدين، ويَحْشوها بالنقد الجارِح، ويحمل فيها حملات شَعْواء على الأفراد والجماعات. وبعدَ وقتٍ قصير ارْتَأى تبديلَ اسمها، فأصبحت «الاتحاد العربـيّ»، ولكنّ مادّتها ظلّت على حالها"[٢].

شعرُه

نظمَ جورج أطلس القصـيدةَ العموديّة من حيث البناءُ الشعري والوزن والقافية، ولكن بلغة عصره وأغراضه. وكانت بعضُ قصائده تعتمد نظامًا يشبه الـموشّحات، حيث تتألّف من مقـاطـع تتفاوت قافيتُها مـن مقطوعةٍ إلـى أخرى، ثمّ تنتهي كـلّ مقطوعة بشـطر يسـتعيد قافيتَه الأولى الواردة فـي الـمقطوعة الأولى؛ ففي قصيدته «الدَّمْعَة الخالِدَة – سَـكَتَ

[١] انظر: أعلام الأدب والفنّ، أدهم آل جندي، الجزء الأوّل، مطبعة مجلّة صوت سورية، دمشق، ١٩٥٤ م، ص١٢١.

[٢] انظر: ذكرى الهجرة (رسالة الـمُهاجرين السُّوريين واللُّبْنانيين إلى إِخْوانهم الـمُتَخلِّفين – اعترافات وإذاعات)، تَوْفيق فَضْل الله ضَعُون، ص٣١٤.

البُلْبُل» يقول:

سَكتَ البُلْبُلُ، والمِيماسُ جَفّ   نَهْرُنا «العاصي» مِنَ الهَوْلِ جَفّ
شامِخَ الحَوْرِ على الشّاطِئِ انْقَصَفْ   مُذْ رَسُولُ المَوْتِ في حِمْصَ وَقَفْ
ودَعَا البُلْبُلَ ذا النُّطْقِ الفَصِيحْ

***

سَكتَ البُلْبُلُ يا حِمْصُ الْبِسي   ثَوْبَ مِسْحٍ بَعْدَ ثَوْبِ السُّنْدُسِ
وَانْدُبي البَدْرَ بِلَيْلٍ حِنْدِسِ   قَدْ خَبا يا حِمْصُ نُورُ القُدُسِ
ومَنارُ الطُّهْرِ غَطّاه الضّرِيحْ

***

سَكتَ البُلْبُلُ، والغُصْنُ الرَّطيبْ   قَدَ ذَوَى مُذْ بانَ عَنْهُ العَنْدَليبْ
لَمْ يَعُدْ في الحَيِّ لِلدّاعِي مُجِيبْ   بَخُلَ الكُلُّ فَمَنْ يُقْرِي الغَريبْ
ماتَ مَنْ ضَمَّدَ أَجْراحَ الجَريحْ

وفي قصيدة بعنوان «نَشِيد العَذارَى» يقول، ولكن على نسقٍ مختلف:

لازِمَة

يا حِمْصُ بَدْرُ الطُّهْرِ غابْ   مُذْ أَسْدَلَ المَوْتُ الحِجابْ

دور

يا هاجِرًا هَذي الرُّبُوعْ   جَفَّتْ بِمَوْتَتِكَ الدُّمُوعْ
والنّارُ تَصْلى في الضُّلُوعْ   عَزَّ العَزا في ذا المُصابْ



دور

يـــا خالِـــدًا طَـــيَّ القُلُـــوبْ   شُـــقَّتْ لِـــمَوْتِكَ الجُيُـــوبْ

غَرَّبْـــتَ، مـــا آنَ الغُـــرُوبْ   يـــا وَيْلَنـــا مِـــنْ ذا الغِيـــابْ

دور

يـــا حِمْـــصُ قَـــدْ حَـــلَّ الشَّـــقا   مُـــذْ مـــاتَ مُطْـــرانُ النَّقـــا

مَـــنْ كـــانَ عُنْـــوانَ التُّقَـــى   يَتَوَسَّـــدُ اليَـــوْمَ الـــتُّرابْ

ويمضي فـي تنويعاته الشعريّة أبعدَ من ذلك، فيقول فـي قصيدته «حَوْلَ الضَّريح»:

هَيّـــا نَحْـــوَ اللَّحْـــدِ طُـــرًّا   هُبُّـــوا لِلنَّـــدْبِ

وَاسْـــتَعِدُّوا لِـــوَداعِ الـــ   ـفاضِـــلِ النَّـــدْبِ

إيـــه – الفاضِـــلِ النَّـــدْبِ

***

وَاسْـــكُبُوا الـــدَّمْعَ غَزيـــرًا   بَلِّلُـــوا التُّرْبـــا

قَـــدْ رَدَى البَـــيْنُ أَمِـــيرا   فـــي النُّهَـــى قُطْبـــا

إيـــهِ – فـــي النُّهَـــى قُطْبـــا

***

اِثْناســـيُوس أَصْـــمَى   قَلْبَـــهُ الرّامـــي

وقُلُـــوبَ الكُـــلِّ أَدْمَـــى   مِـــنْ بَنِـــي الشّـــامِ

إيـــهِ – مِـــنْ بَنِـــي الشّـــامِ



ويُلاحَظ من الأبيات السابقة وقصائده بشكلٍ عام أنّ الإشارات الدينية كانت لا تخفى في شعر جورج أطلس، كيف لا وهو قد "تلقّى تَعْليمًا تَبْشيريًا أَمريكيًا مَضَى به من حِمْص إلى سُوق الغَرْب في طَنْطا بمصر"[١] كما سبق أن ذكرنا.

لقد غلب على شعر جورج أطلس قصائدُ المناسبات، لاسيّما في الرثاء، ومن ذلك رثاؤه المُطْرانَ أَثناسيُوس عَطا الله، حيث قال:

سَكتَ البُلْبُلُ والمِلْسانُ نامْ وصُرُوحُ العِلْمِ غَطّاها الخِتامْ
ماتَ مَنْ أنْ قال: «هَا المَصْلُوبُ قامْ» يُشْغِلُ العُبّادَ مِنْ غَيْرِ مُدامْ
بِخُمُورِ الطُّهْرِ والحُبِّ الصَّحِيحْ

هذه شذراتٌ قليلة وعابرة عن شعر جورج أطلس لا تقوم بحالٍ من الأحوال مقامَ الدراسة العميقة والمتأنّية، لاسيّما إذا شاء الله تعالى أن يُتاحَ المزيد من شعره في المستقبل.

وأعرض في الصفحات اللاحقة ما وجدتُه من قصائد شعرية للشاعر مرتّبةً ترتيبًا أَلفبائيًا بحسب القَوافي[٢].

---

[١] الأديبة والشاعرة المهجريّة سَلْوَى سَلامَة – حياتُها وأدبُها، د. حسّان أحمد قمحيّة، الطبعة الأولى، دار مهرات للعلوم، حمص، سوريّة، ٢٠٢٠ م، ص١٤.

[٢] أصدرتُ بعدَ خروج الطبعة الأولى من هذا الكتاب للنور ديوانًا مستقلًّا للأديب جورج أطلس ضمّ الكثيرَ من شعره وقصائده.

قافية الألف

ما لَكَ صامِتًا[1]

(من الكامِل)

اِثْناسْـيُوس النُّطْـقُ مـا لَـكَ صـامِتًا   لَـمْ تُبْـدِ إِيـماءً ولَا إِلْقـاءَ
أَوَ لَسْـتَ أَنْـتَ مُرَتِّـلَ «النُّـورِ البَهِـي»   أَوَ لَـمْ تُبَـكِّ بِلَحْنِهـا الوَرْقـاءَ
كَـمْ حـامَ فـي جَـوِّ الكَنِيسَـةِ بُلْبُـلٌ   إِذْ قُمْـتَ صُـبْحًا تَمْـدَحُ العَـذْراءَ!
أُنْظُـرْ تَـرَ الجُمْهُـورَ حَوْلَـكَ باكِيًـا   يَفْـدِيكَ لَـوْ قَبِـلَ الحِـمامُ فِـداءَ
أَبْنـاكَ مِـنْ خَلْـفِ البِحـارِ تَفَجَّعُـوا   وغَـدَوْا لِـمَوْتِكَ كُلُّهُـمْ خَنْسـاءَ

***

أَوّاهُ لا نُطْـقٌ ولا نَغَـمٌ ولَا   لَحْـنٌ رَخِـيمٌ يُطْـرِبُ النُّـدَماءَ
قِيثـارُ بَيْـتِ اللهِ هَشَّـمَهُ الـرَّدَى   وتَحَوَّلَـتْ جَنّاتُـهُ صَـحْراءَ
داودَ حِمْـصٍ أُخْرِسَـتْ كَـفُّ الـبِلَى   يـا أُذْنُ كُونِـي بَعْـدَهُ صَـمّاءَ

***

يـا شِـبْهَ قَلْـبِ اللهِ فـي حُـبِّ النَّقـا   تَجْـرِي عَلَيْـكَ دُمُوعُنـا حَمْـراءَ
نَـمْ آمِنًـا، فَالْكُـلُّ بَعْـدَكَ سـاهِرٌ   يَبْكِـي رُفاتَـكَ بُكْـرَةً ومَسـاءَ

---

[1] زَفَرات القُلُوب لِفَقْدِ الرّاعي الصّالح الـمَحْبوب، الخوري عيسى أسعد، مطبعة السلامة، ١٩٣٢ م، ص٣٣١. جاءت هذه القصيدةُ ضمن خطبة للشاعر بعنوان «إثناسيُوس عَطا الله»، وهي في رثاء الـمُطْران أَثناسيُوس عَطا الله، مُطْران حِمص للرُّوم الأرثُوذكس خلال الـمدّة ١٨٨٦-١٩٢٣ م.

قافية الباء

نَشِيدُ العَذارَى[1]

(من مَجْزوء الكامِل)

لازِمَة

يــــا حِمْــــصُ بَــــدْرُ الطُّهْــــرِ غــــابْ مُــــذْ أَسْــــدَلَ الــــمَوْتُ الحِجــــابْ

دور

يــــا هــــاجِرًا هَــــذي الرُّبُــــوعْ جَفَّــــتْ بِمَوْتَتِــــكَ الــــدُّمُوعْ

والنّــــارُ تَصْــــلى فــــي الضُّــــلُوعْ عَــــزَّ العَــــزا فــــي ذا الــــمُصابْ

دور

يــــا خالِــــدًا طَــــيَّ القُلُــــوبْ شُــــقَّتْ لِــــمَوْتَتِكَ الجُيُــــوبْ

غَرَّبْــــتَ، مــــا آنَ الغُــــرُوبْ يــــا وَيْلَنــــا مِــــنْ ذا الغِيــــابْ

دور

---

[1] زَفَرات القُلُوب لِفَقْدِ الرَّاعي الصَّالح الـمَحْبوب، الخوري عيسى أسعد، ص٤٧٠. جاءت هذه القصيدةُ في رثاء الـمُطْران أَثناسيُوس عَطا الله، مُطْران حِمص للرُّوم الأرثُوذكس خِلال الـمدّة ١٨٨٦-١٩٢٣ م. يُشار هنا إلى أنَّ القصيدةَ فيها تفعيلات تُخْرِجها من مَجْزوء الرجز (مثلما قد يُظنّ) إلى مَجْزوء الكامِل، لذلك عدّلتُ بعض الكلمات تَعْديلًا بسيطًا جدًّا دون تغيير الـمَعنى لتنسجمَ جميعها مع البَحْر الأخير، والكلماتُ هي: مَوْتَتك بدلًا من مَوْتك، صَفاؤنا بدلًا من صَفْونا، وأبقيت كلماتٍ أخرى لصعوبة تعديلها فجاءت على تفعيلة «مُتَفْعِلُن» غير الـمُسْتَحبّة في الكامِل ومَجْزوئه.

يـــا حِمْـــصُ قَـــدْ حَـــلَّ الشَّـــقا مُــــذْ مـــاتَ مُطْـــرانُ النَّقـــا
مَـــنْ كـــانَ عُنْـــوانَ التُّقَـــى يَتَوَسَّـــدُ اليَـــوْمَ الـــتُّرابْ

دور

اِثناســـيُوس قَـــدْ قَضَـــى وصَـــفاؤُنا مَعَـــهُ انْقَضَـــى
قَـــدْ كـــانَ بَرْقًـــا مُومِضـــا يـــا عَـــيْنُ سُـــحِّي كالسَّـــحابْ

دور

أَضْـــحَى اليَتِـــيمُ ناحِبـــا والعِلْـــمُ فِينـــا نادِبـــا
والـــدِّينُ دَمْعًـــا ســـاكِبا مُـــذْ أَسْـــدَلَ الـــمَوْتُ الحِجـــابْ

دور

يـــا قَـــبْرُ نُهْـــديكَ السَّـــلامْ لِأَنَّ فِيـــكَ الطُّهْـــرُ نـــامْ
أَنْـــتَ لَنـــا البَيْـــتُ الحَـــرامْ مَـــنْ حَجَّـــهُ نـــالَ الثَّـــوابْ



نَعَى الشَّرْق[1]

(من الطّويل)

نَعَى الشَّـرْق فـي جُنْحِ الظَّلامِ إلى الغَرْبِ هَـزارَ رِيـاضِ الـدِّينِ فــي بَيْعَــةِ الـرَّبِّ
فَصــابَتْ غُيُـوثُ الـدَّمْعِ مِـنْ كُـلِّ مُقْلَـةٍ وثـارَ شُـواظُ البَـيْنِ فــي الـنَّفْسِ والقَلْـبِ
ومــادَتْ عَـرُوسُ الـوَعْرِ وَانْـدَكَّ طَوْدُهـا ومادَتْ لَـها الأَقْطارُ فـي البُعْدِ والقُرْبِ
وتُــرْسُ تُقاهــا الصُّــلْبُ حَطَّمَــهُ الـرَّدَى وسَيْفُ نَقاها العَضْبُ[2] أُغْمِدَ فـي التُّرْبِ
وأَشْــجارُها الغَيْفــاءُ[3] قَصَّــفَها الأَسَــى وشَــدْوُ هَــزارِ الـرَّوْضِ أُبْـدِلَ بالنَّعْــبِ
ونِسْــــرِينُها الزّاهِــــي اكْفَهَــــرَّ زَهــــاؤُهُ لَدُنْ قِيلَ: حَلَّ الـمَوْتُ بالفاضِلِ النَّدْبِ

***

أَخالِـدُ مــا هَـذا السُّـكُوتُ! ولَــمْ تَكُــنْ سَــكُوتًا إذا حَلَّــتْ بِنــا ســاعَةُ الخَطْــبِ
أَخالِـــدُ كُنْـــتَ الأَمْـــسَ مِنّـــا حَياتَنـــا وكُنْتَ لَنا الأَهْراءَ[4] فـي الـمَحْلِ والخِصْبِ
وكُنْـــتَ لَنـــا زَيْتًـــا يَلُـــمُّ جِراحَنـــا ونُــورًا إذا مــا جَــنَّ لَيْــلٌ عــلى الرَّكْــبِ

---

[1] زَفَرات القُلُوب لِفَقْدِ الرَّاعي الصَّالِح الـمَحْبوب، الخوري عيسى أسعد، ص٣١٦. جاءت هذه القصيدةُ ضمن خطبة للشاعر بعنوان «الخُلُود»، وهي فـي رثاء الـمُطْران أَثناسيُوس عَطا الله، مُطْران حِمص للرُّوم الأرثُوذكس خِلال الـمدّة ١٨٨٦–١٩٢٣ م.

[2] العَضْب: القاطِع.

[3] الغَيْفاء: الـمُتَمايلة.

[4] أَهْراء: جمع هُرْي؛ والهُرْي: بيتٌ كبيرٌ ضخمٌ يُجمَعُ فيه طَعام البُرُّ ونحوه ليُوزّعه السُّلطان.



وكُنْـتَ رَسُـولَ الحُـبِّ والطُّهْـرِ بَيْنَنـا رَعَـى اللهُ أَيّـامَ الطَّهـارَةِ والحُـبِّ
وكُنْـتَ عَـزاءَ اللهِ فـي الحُـزْنِ والأَسَـى وكُنْـتَ لَنـا السَّـرّاءَ فـي الغَـمِّ والكَـرْبِ
عَهِـدْتُكَ ذا رِفْـقٍ تَـرِقُّ لِـذِي الغِنَـى وكُنْـتَ لِـذِي الأَسْـقامِ كالـمَنْهَلِ العَـذْبِ
فَـما لَـكَ تَقْسُـو اليَـوْمَ والرَّبْـعُ مُجْـدِبٌ وبُعْدَكَ أَصْلَـى النَّـارَ فـي مُهْجَـةِ الشَّـعْبِ
أَمَيْـتٌ وأَنْـتَ الحَـيُّ فـي كُـلِّ مُهْجَـةٍ وأَنْـتَ خُلُـودُ الخِصْـبِ فـي كَرْمَـةِ الـرَّبِّ

***

أَخالِـدُ مـاتَ الـدِّينُ مُـذْ قِيـلَ سَـيْفُهُ تَـثَلَّمَ فـي الهَيْجـاءِ مِـنْ شِـدَّةِ الضَّـرْبِ
وماتَـتْ صُرُوحُ العِلْـمِ يـا ثُكْـلَ دارِنـا ويا حِمْـصُ هَيِّـي الـمِسْحَ لِلنَّـوْحِ والنَّـدْبِ
ويـا خالِـدُ مِنِّـي السَّـلامُ إلى الـمَدَى ومِنِّـي دُمُـوعٌ دُونَهـا هاطِـلُ السُّـحْبِ

حَوْلَ الضَّريح[1]

(من مجزوء الرَّمَل)

هَيّـــــا نَحْـــــوَ اللَّحْــــدِ طُــــرًّا هُبُّـــــــــوا لِلنَّـــــــــدْبِ[2]
وَاسْـــــتَعِدُّوا لِـــــوَداعِ الـــــ ـفاضِــــــــلِ النَّــــــــدْبِ[3]
إيـــــه - الفاضِـــــلِ النَّـــــدْبِ

***

وَاسْـــــكُبُوا الـــــدَّمْعَ غَزيـــــرا بَلِّلُـــــــــوا التُّرْبـــــــــا
قَـــــدْ رَدَى البَـــــيْنُ أَمِـــــيرا فـــــــي النُّهَـــــى قُطْبـــــا
إيـــــهِ - فـــــي النُّهَـــــى قُطْبـــــا

***

اِثْناســـــيُوس أَصْـــــمَى قَلْبَـــــــهُ الرّامـــــــي
وقُلُـــــوبَ الكُـــــلِّ أَدْمَـــــى مِـــــنْ بَنِـــــي الشّـــــامِ
إيـــــهِ - مِـــــنْ بَنِـــــي الشّـــــام

***

[1] زَفَرات القُلُوب لِفَقْدِ الرَّاعي الصَّالح الـمَحْبوب، الخوري عيسى أسعد، ص٤٧١. جاءت هذه القصيدةُ في رثاء الـمُطْران أَثناسيُوس عَطا الله، مُطْران حِمص للرُّوم الأرثُوذكس خلال الـمدّة ١٨٨٦-١٩٢٣ م. ومع أنّ القصيدة من مجزوء الرمل، لكن فيها تفاعيل مختلفة.

[2] النَّدْب: بُكاء الـميّت وتعداد محاسِنه.

[3] رَجُلٌ نَدْب: سَرِيعٌ إلى الفَضَائِل.

أَيُّهـــا العاصِـــي تَجَمَّـــدْ دَمْعُنـــا يَكْفِـــي
سَـــيْلُهُ فِيـــهِ تَخَلَّـــدْ دائِـــمُ الوَكْـــفِ[1]
إيـــهِ - دائِـــمُ الوَكْـــفِ

***

يـــا عَـــرُوسَ الـــوَعْرِ نُـــوحِي وَاهْجُـــرِي الأَفْـــراحْ
وَالْبِسِـــي الـــمِسْحَ[2] وصِـــيحِي بُلْبُلِـــي قَـــدْ راحْ
إيـــه - بُلْبُلِـــي قَـــدْ راحْ

***

أَيُّهـــا اللَّحْـــدُ سَـــلامْ فِيـــكَ راعِينـــا
فِيـــكَ نُـــورٌ لا قَتـــامْ نُـــورُ نادِينـــا
إيـــه - نُـــورُ نادِينـــا

***

أَيُّهـــا اللَّحْـــدُ سَـــلامْ بَـــدْرُنا فِيكـــا
مـــا عَـــلا الغُصْـــنَ حَمـــامْ نَحْـــنُ نَبْكِيكـــا
إِيـــهِ - نَحْـــنُ نَبْكِيكـــا

---

[1] الوَكْف: الانسِكاب والانهِمار.

[2] الـمِسْح: ثَوبُ الرَّاهِب.



قافية التاء

ساعِدُونـي بِدُمُوعِكُم[1]

(من الخَفِيف)

ساعِدُونـــــي بِـــدُمُوعِكُمْ[2] فَـــدُمُوعي مِـــنْ لَـــهِيبِ الفُـــؤادِ شَـــحَّتْ وجَفَّـــتْ

[1] زَفَرات القُلُوب لِفَقْد الرَّاعي الصَّالح الـمَحْبوب، الخوري عيسى أسعد، ص٣١٦. جاء هذا البيتُ منفردًا ضمن خطبة للشاعر بعنوان «الخُلُود»، وهي فـي رثاء الـمُطْران أَثناسيُوس عطا الله، مُطْران حِمص للرُّوم الأرثُوذكس خلال الـمدّة ١٨٨٦-١٩٢٣ م.

[2] هكذا فـي الأَصْل، والصَّحيح: دَمْعِكُمْ.

قافية الدّال

هَوَى رَأْسُ الكَنيسَة[1]

(من الوافِر)

هَـــوَى رَأْسُ الكَنيسَـــةِ فَانْـــدُبُوهُ وفَـــوْقَ رُؤُوسِـــكُمْ ذُرُّوا الرَّمـــادا
وشُـــقُّوا الجَيْـــبَ مِـــنْ حُـــزْنٍ عـــلى مَـــنْ بِـــهِ نِلْـــتُمْ مِـــنَ الـــدَّهْرِ الـــمُرادا
فَقَـــدْتُمْ أورثـــوذكسَ الشَّـــرْقِ راعٍ[2] صَـــلاحَ الأَوَّلِـــينَ لَكُـــمْ أَعـــادا
فَقَـــدْتُمْ أورثـــوذكسَ الشَّـــرْقِ سَـــيْفًا بِـــهِ الإِيـــمانُ قَـــدْ دَحَـــرَ الفَســـادا
فَقَـــدْتُمْ راعِيًـــا وَرِعًـــا غَيُـــورًا لِنَفْـــعِ نِعاجِـــهِ أَلِـــفَ السُّـــهادا
فَقَـــدْتُمْ حامِيًـــا يَقِظًـــا شُـــجاعًا قَضَـــى أَيّـــامَ غُرْبَتِـــهِ جِهـــادا
فَقَـــدْتُمْ عالِـــمًا فَطِنًـــا أَرِيبًـــا مُشِـــيرًا رَأْيُـــهُ كـــانَ السَّـــدادا
فَقَـــدْتُمْ ذا الفَـــمِ الـــذَّهَبِيِّ حِـــبْرًا جَلِـــيلًا كـــانَ لِلـــدِّينِ الرَّشـــادا
فَقَـــدْتُمْ واعِظًـــا لَسِـــنًا بَلِيغًـــا فَقَـــدْتُمْ يـــا بَنِـــي الـــرُّومِ العِـــمادا

***

[1] عواطف الأبناء نحو خَيْرِ الرُّؤَساء وأَعْطف الآباء «مَجْموعة تحتوي تاريخَ روفائيل هَواويني الدِّمَشْقي، أَسْقُف برُوكلن»، جَمْع: عمانوئيل أبو حَطَب، مطبعَة جَريدة مِرْآة الغَرْب، نيويورك، ١٩١٥ م، ص٢٩٢. نَظَمَ الشاعرُ هذه القصيدةَ فـي رثاء رُوفائيل هَواويني الدِّمَشْقي، أَسْقُف برُوكلِن فـي نيُويورك.

[2] هكذا وردت كلمة «راع»، وحقّها النَّصْب.



رَئِـــيسُ الجُنْـــدِ «رُوفائِيـــلُ» يَقْضِــــي فَسُـــحُّوا الـــدَّمْعَ وَاتَّشِـــحُوا السَّـــوادا
قَضَـــى مَـــنْ كـــانَ لِلْمِسْـــكِينِ مَلْجَـــا ومِعْوانًـــا إذا الـــــمِعْوازُ نـــادَى
فَـــنُحْ يـــا مَـــنْ عَلَيْـــهِ الـــدَّهْرُ أَخْنَـــى فِحِصْـــنُ الـــمُتْعَبِينَ اليَـــوْمَ بـــادا
لَنـــا فـــي الأَرْضِ أَحْـــزانٌ، ولكِـــنْ بـــأَمْلاكِ[1] السَّـــماءِ الصَّـــفْوُ ســـادا

---

[1] أَمْلاك: جَمْع مَلَك.



قافية الرّاء

حارَ فِكْري [1]

(من الطّويل)

أَنــامُ عــلى شُــغْلٍ، أَقُــومُ عــلى شُــغْلٍ وقَـدْ حـارَ فــي إِشْـكالِ مُعْضِـلَتي فِكْـري

[1] عواطف الأبناء نحو خَيْر الرُّؤَساء وأَعْطف الآباء «مجموعة تحتوي تاريخَ روفائيل هَواويني الدِّمَشْقي، أَسْقُف برُوكلن»، جَمْع: عمانوئيل أبو حَطَب، ص٢٩١. وجدتُ هذا البيتَ للشاعر منفردًا، وهو - بلا شكّ - جزءٌ من أبياتٍ أخرى، وقد نظمَه على لسان الفقيد.

قافية الميم

الدَّمْعَة الخالِدَة – سَكَتَ البُلْبُل[1]

(من الرَّمَل)

سَـــكَتَ البُلْبُـــلُ، نَـــوِّحْ يـــا حَمَـــامْ وَابْـــكِ طَـــوْدًا هَـــدَّهُ فَـــأْسُ الحِـــمامْ
يـــا «عَـــرُوسَ البَحْـــرِ» قَـــد بـــانَ السّـــلامْ مُـــذْ نَعَـــى النّـــاعُونَ فـــي جُـــنْحِ الظّـــلامْ
سَـــيِّدَ الحُـــرّاثِ فـــي حَقْـــلِ الـــمَسِيحْ

***

سَـــكتَ البُلْبُـــلُ، والـــمِيماسُ جَـــفّ نَهْرُنـــا «العـــاصي» مِـــنَ الهَـــوْلِ جَـــفّ
شـــامِخَ الحَـــوْرِ عـــلى الشّـــاطِئِ انْقَصَـــفْ مُـــذْ رَسُـــولُ الـــمَوْتِ فـــي حِمْـــصَ وَقَـــفْ
ودَعَـــا البُلْبُـــلَ ذا النُّطْـــقِ الفَصِـــيحْ

***

سَـــكتَ البُلْبُـــلُ يـــا حِمْـــصُ البِسِـــي ثَـــوْبَ مِسْـــحٍ[2] بَعْـــدَ ثَـــوْبِ السُّـــنْدُسِ
وَانْدُبِـــي البَـــدْرَ بِلَيْـــلٍ حِنْـــدِسِ قَـــدْ خَبـــا يـــا حِمْـــصُ نُـــورُ القُـــدُسِ

[1] زَفَرات القُلُوب لِفَقْد الرَّاعي الصَّالح الـمَحْبوب، الخوري عيسى أسعد، ص٣٠٨. وقد نظمَ الشاعرُ هذه القصيدةَ في رثاء الـمُطْران أَثناسيُوس عطا الله، مُطْران حِمص للرُّوم الأرثُوذكس خلال الـمدّة ١٨٨٦–١٩٢٣ م. ويُلاحظ أنّ القصيدَةَ مملوءة بالإشارات الدينيّة الـمسيحيّة الدالّة على عمقِ معرفة الشاعر بهذه الأشياء، مثل النّعاج والـمِسْح.

[2] الـمِسْح: ثَوبُ الرَّاهِب.

ومَنَـــــارُ الطُّهْـــــرِ غَطّـــــاه الضّـــــــريحْ

***

سَـــكتَ البُلْبُـــلُ، والغُصْـــنُ الرَّطيـــبْ قَـــدَ ذَوَى مُـــذْ بـــانَ عَنْـــهُ العَنْـــدَليبْ

لَـــمْ يَعُـــدْ فـــي الحَـــيِّ لِلـــدّاعِي مُجِيـــبْ بَخُـــلَ الكُـــلُّ فَمَـــنْ يُقْـــرِي الغَريـــبْ

مـــاتَ مَـــنْ ضَـــمَّدَ أَجْـــراحَ الجَـــريحْ

***

سَـــكتَ البُلْبُـــلُ، والقُمْـــرِيُّ نـــاحْ عَهْـــدُ «أَكْسـيُّون» فـــي التَّسْـبِيحِ راحْ

سَـــكِرَ الكُـــلُّ بِحُـــزْنٍ لا يُـــراحْ وغُـــرابُ البَـــيْنِ فـــي الأَحْيـــاءِ صـــاحْ

طَفِـــئَ الـــمِصْباحُ فـــي الوَجْـــهِ الصَّـــبِيحْ

***

سَـــكتَ البُلْبُـــلُ والـــمِلْسانُ نـــامْ وصُرُوحُ العِلْـــمِ غَطّاهـــا الخِتـــامْ

مـاتَ مَـنْ أنْ قـال: «هَـا الـمَصْلُوبُ قـامْ» يُشْـــغِلُ العُبّـــادَ مِـــنْ غَـــيْرِ مُـــدامْ

بِخُمُـــورِ الطُّهْـــرِ والحُـــبِّ الصَّـــحِيحْ

***

سَـــكتَ البُلْبُـــلُ يـــا حِمْـــصُ انْدُبِيـــهْ أَكْثِـــرِي الـــدَّمْعَ، عـــلى اللَّحْـــدِ اسْـكُبِيهْ

فَجَـــعَ التَّرْتِيـــلُ طِفْـــلًا بِأَبِيـــهْ وبَكَـــى الإِيـــمانُ ذا القَلْـــبَ النَّبِيـــهْ

مَـــنْ لِقَلْـــبِ اللهِ قَـــدْ كـــانَ الكَفِـــيحْ

***

سَـــكتَ البُلْبُـــلُ يـــا هَـــوْلَ السُّـــكُوتْ قَنَـــتَ الكُـــلُّ وَيـــا رَهْـــبَ القُنُـــوتْ

«إِثَنـــا» الـــمُطْرانُ حَـــيٌّ لا يَمُـــوتْ ثَبُتَـــتْ أَعْمالُـــهُ كُـــلَّ الثُّبُـــوتْ
إِنْ نَكَرْناهـــا صَـــفا الـــوَعْرِ يَصِـــيحْ

***

رَحَـــلَ البُلْبُـــلُ عَـــنْ دارِ الشَّـــقا بَعْـــدَ أَنْ أَنْضَـــجَ أَثْـــمارَ التُّقَـــى
يَمَّـــمَ «الخالِـــدُ»[1] فِـــرْدَوْسَ النَّقـــا وبِفـــادِي الكُـــلِّ مَـــوْلاهُ الْتَقَـــى
مُنْشِـــدًا أَلْحـــانَ أَمْجـــادِ الـــمَسِيحْ

***

أَلْبِسُـــوا البَيْعَـــةَ أَثْـــوابَ الحِـــدادْ قَـــدْ هَـــوَى فـــي هَيْكَـــلِ اللهِ العِـــمادْ
ونِعـــاجُ الـــرَّبِّ هامَـــتْ دُونَ هـــادْ فـــي وُعُـــورٍ وحُـــزُونٍ[2] ووِهـــادْ
بَيْـــنَما الرّاعِـــي عـــلى الأَرْضِ طَـــرِيحْ

***

سَـــقَطَ الرّاعـــي الـــذي صـــانَ الخِـــرافْ مِـــنْ ضَياعٍ فـــي الـــمَهاوِي وَاخْتِطـــافْ
أَرْهَـــبَ السِّـــرْحالَ والضَّـــبْعَ أَخـــافْ شَـــيَّدَ السِّـــلْمَ عـــلى هـــامِ الخِـــلافْ
جَـــبَرَ الـــمَكْسُورَ فِيهـــا والكَسِـــيحْ

***

يـــا نِعـــاجَ الـــدِّينِ شِـــبْهُ اللهِ مـــاتْ وزَمـــانُ الطُّهْـــرِ والإِيـــمانِ فـــاتْ

---

[1] كلمةُ «خالد» هي الـمقابلُ العربـي لكلمة «أَثناسيُوس».

[2] حُزُون: جمع حَزَن، والحَزَنُ من الأرض: ما غَلُظ منها.

لَـــمْ يَعُــدْ فـــي حِمْصِــنا غَـيْرُ الرُّفـاتْ نَأْسَــــفُ الآنَ، ولكِــــنْ لاتَ، لاتْ
يَتَلاشَــى السَّــجْعُ فـــي عَصْــرِ الفَحِــيحْ

***

فَــاذْكُرُوا الـــمُطْرانَ ذا الفَضْــلِ العَمِــيمْ نُــورَ حِمْـصٍ فــي دُجَـى العَهْـدِ القَـديمْ
كَـمْ أَسـالَ الـدَّمْعَ فــي اللَّيْـلِ البَهِـيمْ كَــمْ حَكَــى بالصَّــبْرِ مَعْنًــى والكَلِــيمْ
كَــمْ جَـرَى مِــنْ جَبْهَــةِ الحِــبْرِ الرَّشِــيحْ!

***

يـــا ثَــرَى الـــمُطْرانِ رَوّاكَ السَّــحابْ فَيــكَ بَــدْرُ الــدِّينِ والآدابِ غــابْ
فَاكْتَسَــى مِــنْ طُهْــرِهِ الطُّهْــرَ الــتُّرابْ أَنْــتَ بَعْــدَ اليَــوْمِ لِلْفِــرْدَوْسِ بــابْ
كَعْبَــــةُ العانــــي وذا الجَفْــــنُ القَـــريحْ

***

يـــا ثُــرَى الـــمُطْرانِ رَوَّتْــكِ الــدُّمُوعْ فِيــكِ حِــبْرٌ بالنّقــا حــاكَى «يَسُــوعْ»
كَـمْ لِأَجْـلِ الـبِرِّ قَـدْ جافَــى الهُجُـوعْ كُــلُّ ذا حُبًّــا بِمَــنْ يَرْجُــو رُجُــوعْ
فاعِــــل الشَّــــرِّ عَــــنِ الشَّــــرِّ القَبِــيحْ



قافية النون

صَفِّقْ إذَنْ[1]

(من الكامِل)

الــــبَعْضُ يَطْلُـــبُ بالخَطابَـــةِ نَفْعَـــهُ		والـــبَعْضُ يَطْلُـبُ نَفْـعَ أَبْنـاءِ الــوَطَنْ
والــــبَعْضُ يَنْشُــرُ بالخَطابَـــةِ جَـــوْهَرًا		والـبَعْضُ يَنْشُــرُ مـا انْطَـوَى طَـيَّ الـدِّمَنْ
والـــبَعْضُ يَخْطُــبُ فـــي العِـراقِ وقَوْلُــهُ		إنْ شِـــئْتُمُ التَّفْسِـــيرَ فـــي أَرْضِ الـــيَمَنْ
والــــبَعْضُ يَتْجُـــرُ بالضَّـــمِيرِ وصَـــوْتِهِ		والقَصْـدُ كُــلُّ القَصْـدِ تَحْصِـيلُ الــثَّمَنْ
فـــإذا انْـــبَرَى فِـــيكُمْ خَطِيـــبٌ مَيِّـــزُوا		مـا بَــيْنَ مَــنْ كـالَ الكَــلامَ ومَــنْ وَزَنْ
قُولُـوا لِـمَنْ سَـكَنَتْ يَـداهُ، وقَـدْ رَأَى الْـ		ـحَـــقَّ الصَّـــريحَ مُعـــزَّزًا: صَـــفِّقْ إِذَنْ

[1] الكلمات الخالدة، سلوى سلامة، ١٩٢٣ م، ص٦٧. مهَّد جورج أَطْلس لهذه الأبيات التي وردت في خطبةٍ له بعنوان «أيُّها» بقوله: "الخطابة كغيرها من الفنونِ الجميلة يَسْتظلُّ بظلِّها السليمُ والـمعتلّ، ويحمل لواءَها النابغُ والأَهْبَل. وقد جمعتُ أنواعَ الخُطَباء فـي هذه الأبيات".



فـي رِثاءِ الشّهيد عبد الحميد الزِّهْراوي[1]

(من البسيط)

تَبْكيــكَ حِمْــصُ وَمــا تَحْوِيــهِ مِــنْ نُــزَهٍ   يَبْكِيــكَ «مِيماسُــنا»، يَبْكِيــكَ «عاصِــينا»

***

سُــلُّوا السُّــيُوفَ الــمَواضِي وَانْــدَفِعُوا   مَثْــلَ السُّــيُولِ عــلى أَعْــدَى عَوادِينــا

وخَرِّمُــوا الــتُّرْكَ لا تُبْقُــوا عــلى أَحَــدٍ   وَجَــدِّدُوا مَــا انْقَضَــى مِــنْ مَجْـدِ ماضِــينا

جَمـــالَ باشـــا تَهَيّـــا فـــاللُّيُوثُ أَتَـــتْ   مِــنْ كَــأْسِ نِقْمَتِهــا تَسْــقِي الــمُهاجِينا

[1] انظر: الأُدَباء الشُّهداء فـي العَصْر التُّركي علـى يَد جمال باشا السفّاح، محمّد حامِد شريف، الطبعة الأولى، ١٩٩١ م، ص١٧٨؛ وصورة الهاشميين فـي الشعر الأردنـي الـمُعاصر (١٩١٦-٢٠٠٢ م)، بشير عقاب على الحجاجحة، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنيّة، كلّية اللغة العربية، ٢٠٠٣ م، ص٢٠. جاء البيتُ الأوّل فـي الكتاب الأوّل، والأبيات الثلاثة اللاحقة فـي الكتاب الثانـي. وقد أدرجتُ كاملَ القصيدة (الـمطوّلة) فـي ديوان جورج أطلس الذي أصدرتُه قبلَ صدور هذه الطبعة الثانية من الكتاب.



جَمَّلْتُمُ الإِلْقاء[1]

(من الكامِل)

جَمَّلْـــــتُمُ الإِلْقـــــاءَ بالتِّبْيـــــانِ وتَلَـــوْتُمُ القُــــرْآنَ فــــي حَمْـــدانِ
إِنْ كـــانَ لِلْحَــدّادِ حَمْـــدٌ واحِـــدٌ فَلَكُـــمْ رِجـــالَ الـــمُنْتَدَى حَمْـــدانِ[2]

[1] الكلمات الخالدة، سلوى سلامة، ص٦. ارتجلَ جورج أَطْلس هذين البيتين فـي حفلة الـمُنْتَدى الزَّحلي ليلةَ تَمْثيل رواية «حَمْدان» للأديب نجيب حدّاد.

[2] جاء هذا البيتُ بروايةٍ أخرى أيضًا: إِنْ حُقَّ لِلْحَدّادِ حَمْدٌ واحِدٌ ... فَلَكُمْ شَبابَ الـمُنْتَدَى حَمْدانِ [انظر: ذكرى الهجرة (رسـالة الـمُهاجرين السُّـوريين واللُّبْنانيين إلـى إِخْوانهم الـمُتَخلِّفين – اعتِرافات وإذاعات)، توفيق فضل الله ضَعُون، ص٣١٧].

الشاعرُ والأديب الـمَهْجَري

حُسْني عَبْد المَلِك





حاولتُ ما وسعتني الـمحاولةُ أن أحصلَ على النِّتاج الأدبي للأديب حُسْني عبد الـملك، وتواصلتُ مع عددٍ من الـمهتمّين من أجل ذلك فلم أحظَ من هذا النتاج إلّا بالقليل، حيث تشير بعضُ الـمصادر إلى أنّ له خطبًا ومقالات، فضلًا عن الشعر؛ ومن قصائده الـمفقودة قصيدةٌ بعنوان «استهلال لرسالة سورية». وأرجو أن يُتاحَ لي في الـمستقبل الوصول لبقيّة نتاج الشاعر لاستكمال نشره في طبعاتٍ لاحقة من هذا الكتاب، أو في كتاب مستقلّ. ولكن، يبدو أنّه لا أملَ في ذلك إلا بالعثور على الجريدة التي كان يُصْدِرها في الأرجنتين وغيرها من صُحُف الـمهجر الجنوبي ومـجلّاته، حيث كان ينشر قصائدَه وكِتاباتِه.

حَياتُه وسيرتُه

وُلِد الشاعرُ والأديب حُسْني عَبْد الـملك في مدينة حماة السوريّة، وتلقَّى بعضَ التعليم فيها، واكتسب قِسْطًا من الثقافة والـمهارة في علوم اللغة وآدابها قبلَ هجرتِه إلى الأرجنتين حيث تُوفّـيَ في عاصمتها بيُونس آيرس في ١٢ حزيران/ يُونيُو ١٩٥٠ م. لقد ذكرت جريدةُ الـمواهب الـمهجريّة لصاحبها يوسف صارمي في حفلة تأبين الشاعر أنّه «صرفَ نحوَ ٤٠ سنة من عمره في ديار الغربة»[١]، وبناءً على ذلك تكون هجرتُه سنةَ ١٩١٠ م تقريبًا، أو بعدَ ذلك بقليل خلال "العقد الثاني من القرن الـماضي، حيث اختار الشاعرُ أن يكونَ تاريخا ميلادِه وهجرتِه سرًّا"[٢].

[١] مجلّة الـمواهب الـمهجريّة، السَّنة السادسة، العدد ٢ و ٣، حزيران/ يُونيُو ١٩٥٠ م، ص٣٥.

[٢] انظر: أَدبُنا وأُدَباؤنا في الـمَهاجِر الأمريكيَّة، جورج صيدح، ص٤٨٧.



لقد اعتمد حُسْني عَبْد الـملك على نفسه فـي اكتساب معارفه، ولكنّ الـمعلوماتِ الـمتوفّرة عن تكوينه العلمي تبدو ضئيلة. عملَ الشاعرُ فـي مغتربه بالصحافة، حيث ترأَّسَ تحريرَ الجريدة السورية اللبنانية فـي عهد صاحبها الأوّل موسى عزيزة؛ "وفـي سنة ١٩١٩ م أوكلت إليه الجامعةُ السورية تحريرَ مجلّتها الوطنيّة وإدارتَها فـي الـمَهْجر الأَرْجنتيني، فكان يدَها ولسانها"[١]؛ كما أنشأ مجلّةَ الراية فـي السنة نفسِها. "وأصدر سنةَ ١٩٣٣ م «جريدةَ الوطن»، إضافة إلى عمله سكرتيرًا عامًا للجنة إغاثة فلسطين لجمع التبرّعات، حيث بقيَ كذلك حتّى وفاته فـي ١٢ حزيران/ يُونيَو، سنةَ ١٩٥٠ م"[٢]، كما سبق أن ذكرنا. ومن الجدير بالذكر أنّ حُسْني عَبْد الـملك كان عضوًا فـي الرابطة الأدبيّة التي أُنْشِئت سنةَ ١٩٤٩ م فـي الـمَهْجر الأَرْجنتيني، وكان من أبرز أَعْضائها جورج صَيْدح وزكي قُنْصل وإلياس قُنْصل وجورج عسّاف ويوسف صارمي.

تُجْمِع شهاداتُ عدد من أصدقاء حُسْني عَبْد الـملك على أنّه كان ذا شخصيّة قويّة، عزيزَ النفس أبيًّا، مترفِّعًا رغمَ فراغ يده، واسعَ الـمدارك وصافـي الفِكْر؛ لـمعَ كاتبًا وشاعرًا وخطيبًا، مذهبه فـي الشعر قديم ونثره بليغ، لا يرى غيرَ مَذْهبِ العرب مَذْهبًا ولا فوقَ أدبهم أدبًا، يُجابِه دونَ عروبته وعربيّته الخطوبَ والـمُلِمّات[٣].

---

[١] انظر: شعراء الـمَهْجر الجنوبـي، د. صلاح الدين الـهوّاري، الطبعة الأولـى، دار ومكتبة الـهلال، بيروت، ٢٠٠٩ م، ص٣٤٤.

[٢] انظر: أَدبُنا وأُدَباؤنا فـي الـمَهاجر الأمريكيَّة، جورج صيدح، ص٤٨٧.

[٣] انظر: أَدبُنا وأُدَباؤنا فـي الـمَهاجر الأمريكيَّة، جورج صيدح، ص٤٨٧، ٤٨٨؛ ومجلَّة الـمَواهِب الـمهجريّة، السَّنة السادِسة، العدد ٢ و ٣، حزيران/ يونيو ١٩٥٠ م، ص٣٦.



وقد رثاه الأديبُ الـمهجري جورج صَيْدح بقصيدةٍ مؤثِّرة نَسَبَ أربعةَ أبياتٍ منها موقع «معجم البابطين لشعراء العربية فـي القرنين التاسع عشر والعشرين» خطأً إلـى الشاعر نفسه، كما فعلَ مثلَ ذلك الأديبُ والصحفي الـمهجري والسِّياسي عبد اللطيف اليُونس فـي كتابه «الـمُغْترِبون»، حيث نسب جزءًا منها أيضًا إلى حُسْني عبد الـملك[1]. وقد جاءت القصيدةُ كاملةً فـي جريدة السّمير الـمهجريّة لصاحبها إيليا أبـي ماضي تحت عنوان «ولـي وَتَرٌ مُضْنَـى»[2]، وفيما يلـي نصُّها:

أَيَـا قِطْعَـةً مِـنْ قَلْـبِ «رابِطَـةِ»[3] النُّهَـى ... فِـدًى لَـكِ بـاقِي قَلْبِها الـمُتَناثِرِ
تُـرَدِّدُ فـي جلساتها قَـوْلَ قائـلٍ: ... أَلَا فَاعْقِـدُوها جِلْسَـةً فـي الـمَقابرِ
ونـادُوا عَـلى «حُسْـني» وهُـزُّوا يَراعَـهُ ... إلى نُصْـرَةِ الأَوْطـانِ هَـزَّ البَـواتِرِ
أَشِـيرُوا إلى سـاحِ الجِهـادِ أَمامَـهُ ... فَـإِنْ لَـمْ يُبـادِرْ عَرِّضُـوا بالـمَخاطِرِ
وسَـمُّوا فِلَسْـطِينَ الشَّـهِيدَةَ تَخْـتَلِجْ ... ويُلْـقِ عـلى الأَجْـداثِ خُطْبَـةَ ثـائِرِ
لَعَـلَّ نِـداءَ الـمَيْتِ يَبْعَـثُ نَهْضَـةً ... إلى واجِـبٍ أو يَقْظَـةً فـي الضَّمائِرِ
سَـنَبْكيكَ مـا شَـقَّ البَيـانُ عـلى الـرُّؤَى ... ودَقَّ عـلى الأَقْـلامِ تَصْـويرُ خـاطِرِ
سَـنَرْثِيكَ مـا حُـقَّ الرِّثـاءُ لِأُمَّـةٍ ... أَوائِلُهـا مَنْكُوبَـةٌ بـالأَواخِرِ

---

[1] وردت أربعةُ أبياتٍ منـها فـي كـتـاب: الـمُغْترِبون، عبد اللطيف اليُونس، مطبعة العرفـان، صَيْدا، لبنان، ١٩٦٤ م، ص١٩٢، وأحدَ عشرَ بيتًا فـي كتاب: أَدبُنا وأُدَباؤنا فـي الـمَهاجِر الأمريكيَّة، جُورج صيدَح، ص٤٨٩، ٤٩٠. وهي جميعًا لجورج صَيْدح فـي رثاء الشاعر.

[2] جريدة السَّمير الـمَهْجرية، السَّنة الواحدة والعشرون، العدد ١٧٨، الاثنين ٧ آب/ أغسطس ١٩٥٠ م، ص٤.

[3] إشارة إلى الرّابطة الأدبيّة التي كان ينتمي إليها الفقيد.

ونَمْـــلأُ مِـــنْ ذِكْـــراكَ جَـــوَّ دِيارِنـــا وسَـــمْعَ نَوادِينـــا، وصَـــدْرَ الــــمَنابِرِ
نُـــزُولًا عـــلى حُكْـــمِ الوَفـــاءِ وحُرْمَـــةً لِآصِرَةِ الآدابِ خَــــــــــــيْرِ الأَواصِرِ

❁❁❁

غَريـبَ الحِمـى لَيْـتَ النَّـواعيرَ فـي «حَمـا» تُشَـــيِّعُ بالأَلْحـــانِ رَكْـــبَ الــــمُسافرِ!
تُعاطِيكَ فـي كَـأْسِ الـرَّدَى حَبَبَ النَّـدى فَتَشْـــرَبُها كالنَّخْـــبِ بَـــيْنَ الــــمَزاهِرِ
نَـواعِيرُ غَنّـتْ حَـوْلَ مَهْـدِكَ لَـمْ تَـزَلْ تَـــدُورُ عـــلى الــــمِيماسِ رَغْـــمَ الـــدَّوائِرِ
كَـــأنَّ عـــلى أَخْشـــابِها رُوحَ مُـــذْنَفٍ وفـــي مائِهـــا الفَـــوّارِ رُوحَ الــــمُغامِرِ
كَأَنّـــي بِهـــا تُمْـــلي عـــلى الـــرِّيحِ زَفْـــرَةً تُطَيِّرُهـــا نَحْـــوَ الحَبِيـــبِ الــــمُهاجِرِ
هِـيَ الشِّـعْرُ! لا شِـعْرُ الرِّفـاقِ تَقَطَّعَـتْ مَفاصِـــلُهُ بَـــيْنَ اللَّهَـــى والحَنـــاجِرِ

❁❁❁

ولـــي وَتَـــرٌ مُضْنَـــى يَخُـــونُ أَنـــامِلي لِكَثْـــرَةِ مـــا أَنْشَـــبْتُ فِيـــهِ أَظـــافِري
أُكَلِّفُـــهُ مـــا لَـــيْسَ فـــي وُسْـــعِهِ مَتَـــى طَلَبْـــتُ مِـــنَ الأَشْـــعارِ بَـــثَّ شَـــواعِري
ولكِـــنَّ «حُسْـــنِي» عـــاذِرٌ مَـــنْ أَحَبَّـــهُ عَلِـــيمٌ بِـــما ضُـــمَّتْ عَلَيْـــهِ سَرائِـــرِي
لَـــوَ انَّ بَيانـــي مُسْـــتَعِيرٌ بَيانَـــهُ يَمِينًـــا لَـــما أَبْقَيْـــتُ سِـــحْرًا لِســـاحِرِ

كما رثاه الأديب والشاعر الـمهجري يوسُف صارمي بقصيدة جاءت بعنوان «قَدْ عُطِّلَتْ قِيثارَةُ الأَدَب»[1]:

قَـــــدْ عُطِّلَـــــتْ قِيثـــــارَةُ الأَدَبِ بَعْـــدَكَ يـــا «حُسْـــنِي» فَلَـــمْ تُطْـــرِبِ

[1] ديوان الشاعر الـمهجري يوسُف صارمي، جمعه وقدّم له واعتنى به: د. حسّان أحمد قمحيّة، الطبعة الأولى، دار الحوار، سوريّة، اللاذقيّة، ٢٠٢١ م، ص٧١.

وَانْطَـــوَى الفَـــنُّ عـــلى ذاتِـــهِ كـــالرَّوْضِ لَـــمْ يَـــزْهُ، ولم يُعْشِـــبِ
وَانْفَـــرَطَ العِقْـــدُ، فَلَـــمْ يَنْـــتَظِمْ وَانْصَـــدَعَ الشَّـــمْلُ، فَلَـــمْ يُـــرْأَبِ

❁❁❁

«حُسْـــنِي» ومـــا أَفْـــدَحَها نَكْبَـــةً غـــارَتْ بِضـــاحِي وَجْهِـــكَ الكَوْكَـــبِ
حَلَّـــتْ بِســـاحِ الأَدَبِ الـــمُنْتَقَى بـــالكَلِمِ الـــمُنْسَجِمِ الطَّيِّـــبِ
باللُّغَـــةِ الفُصْـــحَى، بأَسْرارِهـــا بالحَسَـــبِ الـــمَوْرُوثِ مِـــنْ يَعْـــرُبِ

❁❁❁

«حُسْـــني» وهَـــذي دَمْعَـــةٌ حَـــرَّةٌ أَسْـــكُبُها مِـــنْ قَلْبِـــيَ الـــمُلْهَبِ
تَشْـــهَدُ أَنِّـــي أَبَـــدًا حـــافِظٌ عَهْـــدَكَ فـــي السِّـــرِّ الصَّـــمِيمِ الخَبِـــي
تَشْـــهَدُ أَنِّـــي أَبَـــدًا عـــارِفٌ بِفَضْـــلِكَ الـــمُنْبَسِطِ الـــمُوعِبِ[1]
وهَـــذِهِ «نَـــدْوَتُنا» تَشْـــتَكِي فَقْـــدَ نَـــداكَ الـــمُتْرَفِ الـــمُخْصِبِ
أَلَـــمْ تَكُـــنْ تُطِـــلُّ مِـــنْ مَرْقَـــبٍ تَنْفَحُهـــا بِرَأْيِـــكَ الأَصْـــوَبِ!؟
تُنِيرُهـــا فـــي حَلَـــكِ الغَيْهَـــبِ إذا انْتَحاهـــا حَلَـــكُ الغَيْهَـــبِ

❁❁❁

وهـــا هُـــمُ إِخْوانُـــكَ الأَوْفِيَـــا «الرَّابِطِيُّـــونَ» أُولُـــو الـــمَنْدَبِ[2]
«الرَّابِطِيُّـــونَ» الأُلَـــى هالَـــهُمْ أَنْ يَتَحَـــدَّاكَ الزَّمـــانُ الغَبِـــي
كُلُّهُـــمُ مُسْـــتَعِرٌ حَسْـــرَةً عَلَيْـــكَ يـــا خَـــيْرَ أَخٍ، بَـــلْ أَبِ!
يَرْثُـــونَ فِيـــكَ الـــمَجْدَ لَـــمْ يَتَّضِـــعْ ويَنْـــدُبُونَ العَرَبِـــيَّ الأَبِـــي

[1] الـمُوعِب: السَّابِغ.

[2] الرَّابِطِيُّون: أي أعضاء الرّابِطة الأدبيَّة في الأَرْجَنتين. مَنْدَب: مَناحَة، بُكاء.

والكاتِــــبَ الحُــــرَّ الجَــــرِيءَ الــــذي قَــدْ أَرْهَــبَ الظُّلْــمَ، ولَــمْ يُرْهَــبِ
يَقْضُــونَ حَقًّــا لَــكَ فــي جِيــدِهِمْ أَوْجِــبْ بِــما يَقْضُــونَهُ أَوْجِــبِ!
يُحْيُــونَ فــي ذِكْــراكَ ذِكْــرَى امْــرِئٍ مــا أَنْ عَنَــا قَــطُّ إلى أَجْنَبِــي
ذِكْــرَى امْــرِئٍ لَــمْ يَــرَ فــي عُمْــرِهِ غَــيْرَ اتِّحــادِ العُــرْبِ مِــنْ مَــذْهَبِ
قَضَــى كَــما عــاشَ عــلى مَبْــدَأٍ قِوامُــهُ عِيســى الهُــدَى والنَّبِــي
عــاشَ فَقِــيرًا، وقَضَــى مُثْرِيًــا أَعَــزَّ مِــنْ «وائِــلِ التَّغْلِبِــي»[1]
فَلْيَغْفِــرِ اللهُ «لِــحُسْنِي» بِــما خَلَّفَــهُ مِــنْ أَثَــرٍ طَيِّــبِ

شعرُه

من خلال بضع قصائد وجدتُها للشاعر حسني عبد الـملك يبدو شاعرًا عُرُوبيًّا قوميًّا، يحبّ وطنه ولغتَه العربيّة حبًّا جمًّا. وشعرُه عموديّ الوزن، أمّا القافيةُ فهي واحدة أو متعدّدة فـي قصائده، لكنها لا تخرج عن النسق الشعري العربـي الـمتعارف عليه.

يحمل الشاعرُ فيما وجدتُه له على تخاذل بعض الأنظمة العربيّة فـي مواجهة أعداء الأمّة، والانتصار لقضاياها؛ ويفخر ببلاده وأهله، وبأمجاد أمّته وتاريخها ورسولها الكريم محمّد عليه الصلاة والسلام. وفـي ذلك يقول:

إنْ كُنْــتَ تَحْمِــلُ لِلْبَنِــينَ رِســالَةً فَــاطْلُعْ بَوَحْيِــكَ هادِيًــا لِلنّــاسِ
أَنْصِــفْ بِــلادَكَ وَاجْــلُ مِــنْ تاريخِهــا صَــفَحاتِ مَجْــدٍ، شَــعَّ كــالنِّبْراسِ

---

[1] كُلَيْب بن وائِل التَّغْلِبي: هو وائِل بن ربيعَة التغلبي شقيقُ الـمُهَلْهَل بن ربيعة، أوّل من ملكَ العرب، فقد ملك قومَه تغلب وبكرًا أَبْناء وائل وبعضًا من قبائل ربيعة من العَدْنانيّين.

قَـــدْ تُفْسِـــدُ الأَغْـــراضُ تارِيخًـــا بِـــهِ   عَـــدَمُ اليَقِـــينِ وكَثْـــرَةُ الأَحْـــداسِ
وإِذا ذَكَـــرْتَ الفَـــتْحَ بَعْـــدَ «مُحَمَّـــدٍ»   ذَكِّـــرْ «بِسُـــورِيّا»، الزَّمـــانَ النّاســـي
عُلَماؤُهـــا كـــانُوا هُـــداةَ مُلُوكِـــهِ   فِـــي عَصْـــرِهِ الأُمَـــوِيِّ والعَبّـــاسِي
صَـحِبُوا جُيُـوشَ الفـاتِحِينَ فَعَمَّمُـوا الْـــ   ـعِرْفـــانَ فـــي الإِبْحـــارِ والإِيبـــاسِ
وبِهِـــمْ دَواويـــنُ الفُنُـــونِ زَهَـــتْ فَكـــا   نُـــوا الغَيْـــثَ رَوَّى ظـــامِئَ الأَغْـــراسِ
وإِذا بِفَـــتْحِ العُـــرْبِ فَـــتْحٌ لِلْـــوَرَى   وفُتُـــوحُ غَـــيْرِ العُـــرْبِ كُـــنَّ مآســـي

ويقول فـي حبّ العروبة فـي موضع آخر، محذّرًا من أدعيائها والـمتواطئين عليها:

أَهْـــوَى العُرُوبَـــةَ لَا كَـــما يَهْوَوْنَهـــا   تُبْنَـــى عَـــلى دِيـــنٍ لَهـــا كأَســـاسِ
أَهْـــوَى العُرُوبَـــةَ أَنْ يَكُـــونَ أَساسُـــها   حَقًّـــا، يُســـاوِي أَحْمَـــدًا بِإِيَـــاسِ
صِـــدْقُ العُرُوبَـــةِ لا يُطِيـــقُ تَكَـــتُّلًا   فـــي الـــدِّينِ مِنْهـــا مُفْزِعًـــا بِلِبـــاسِ
أَهْـوَى العُرُوبَـةَ، فـــي ثَقافَتِهـا وفـــي الـــ   أَخْـــــلاقِ، والآدابِ، ذات جِنـــــاسِ
مَـــنْ يَطَّلِبْهـــا فَلْيُجـــانِسْ بَيْنَهـــا   إِنْ رامَ أَنْ يَبْنِـــي البِنـــاءَ الـــرّاسي
يـــا لَلْعُرُوبَـــةِ! والعُرُوبَـــةُ هَيْكَـــلٌ   كَـــمْ فِيـــكِ مِـــنْ مُسْـــتَعْرِبٍ دَسّـــاسِ!

ويُعرِّض فـي قصيدةٍ أخرى بأحد ملوك العرب فيقول:

وَاطَّـــرِحْ ذِكْـــرَ مُلُـــوكٍ سَـــوَّدُوا الْـــ   ـوَجْـــهَ فـــي مـــا بَيْـــنَهُمْ مِـــنْ دُخَـــلِ
خُـــطَّ يـــا تـــارِيخُ سَـــطْرًا خالِـــدًا   يَتَمَشَّـــــى فــــي جَبِــــينِ الأَزَلِ
اِبْـــنُ بِنْـــتِ العَرَبِـــيِّ الـــمُصْطَفَى   خَـــذَلَ العُـــرْبَ ولَـــمّا يَحْفَـــلِ
كَيْـــفَ يَصْـــفُو عَيْشُـــهُ إِنْ سَـــلِمَتْ   رُوحُـــهُ مِـــنْ أَرْوَعِ مُسْتَبْسِـــلِ!؟



كَيْـــفَ يَلْقَـــى جَـــدَّهُ مُسْـــتَقْبِلًا وَجْهَـــهُ فـــي حَضْـــرَةِ اللهِ العَلِـــي!؟

كَيْـــفَ يَلْقَـــى وَجْهُـــهُ سِـــبْطًا لَـــهُ شَـــذَّ عَـــنْ آيِ الكِتَـــابِ الـــمُنْزَلِ!؟

خُـــطَّ يَـــا تَـــارِيخُ سَـــطْرًا آخَـــرًا عَـــنْ مَلِيـــكٍ مُلْتَـــوٍ مُعْتَـــزِلِ

ولعلّ العثورَ على بقيّة نتاج الشاعر يفسح الـمجالَ لـمزيد من دراسة أدبه لغةً وأغراضًا وإيقاعًا.

والآن، أعرض فـي الصفحات اللاحقة ما وجدتُه من قصائد شعرية للشاعر مرتّبةً ترتيبًا ألفبائيًّا بحسب القوافـي.

قافية السين

فَتَى الـمِيماس[1]

(من الكامِل)

اُسْــكُبْ بَيانَــكَ يــا فَتَــى الــمِيماسِ صَــهْباءَ ضــاحِكَةَ الطِّــلا فــي كــاسِ
كَــمْ ذا يُكابِــدُ صــامِتًا ويُقــاسِي بَلَــدٌ أَنــاخَ بِــهِ الزَّمــانُ القــاسِي!
إِنْ كُنْــتَ تَحْمِــلُ لِلْبَنِــينَ رِســالَةً فَــاطْلُعْ بَوَحْيِــكَ هادِيًــا لِلنّــاسِ
أَنْصِــفْ بِــلادَكَ وَاجْــلُ مِــنْ تارِيخِهــا صَــفَحاتِ مَجْــدٍ، شَــعَّ كــالنِّبراسِ
قَــدْ تُفْسِــدُ الأَغْــراضُ تارِيخًــا بِــهِ عَــدَمُ اليَقِــينِ وكَثْــرَةُ الأَحْــداسِ

❁❁❁

ذَكِّــرْ «بِزَيْتــونٍ» وطَلْعَتــهِ عــلى الــدْ ــدُنْيا طُلُــوعَ البَــدْرِ فــي الأَغْــلاسِ
اُذْكُــرْ «هَنِيبــالًا» ووِقْفَتَــهُ عــلى أَبْــوابِ «رُومَــةَ»، وَهْــيَ مَثْــوَى البــاسِ
لَــوْلَا الخِيانَــةُ أَصْــبَحَتْ «قَرْطاجَــةٌ» زِنَــةَ الوُجُــودِ وكُفَّــةَ القِسْــطاسِ
لا تَــنْسَ «حَيْرامًــا» ويَــوْمَ سَــفِينُهُ تَغْشَــى البِحــارَ غَوادِيًــا وكَواسِــي
وإِذا ذَكَــرْتَ الفَــتْحَ بَعْــدَ «مُحَمَّــدٍ» ذَكِّــرْ «بسُــورِيّا»، الزَّمــانَ النّاســي
عُلَماؤُهــا كــانُوا هُــداةَ مُلُوكِــهِ فِــي عَصْــرِهِ الأُمَــوِيِّ والعَبّــاسِي
صَــحِبُوا جُيُــوشَ الفــاتِحِينَ فَعَمَّمُــوا الْــ ــعِرْفــانَ فــي الإِبْحــارِ والإِيبــاسِ

[1] مُعْجَم البابطين لشُعراء العربيّة https://www.almoajam.org/lists/inner/2056.

وبِهِـــمْ دَواويـــنُ الفُنُـــونِ زَهَـــتْ فَكـــا نُـــوا الغَيْـــثَ رَوَّى ظَـــامِئَ الأَغْـــراسِ
وإِذا بِفَـــتْحِ العُـــرْبِ فَـــتْحٌ لِلْـــوَرَى وفُتُـــوحُ غَـــيْرِ العُـــرْبِ كُـــنَّ مَآســـي

❁❁❁

ومَضَـى الأَوائِـلُ! وَانْطَـوَتْ صَـفَحاتُهُمْ وإِذا العُرُوبَـــةُ سِـــلْعَةُ النَّخّـــاسِ
أَخْنَـى الزَّمـانُ عـلى سَـناها فَـانْزَوَتْ رُوحٌ لَهـــا عَـــنْ مَنْطِـــقٍ وقِيَـــاسِ
يـا حاسِـبَ الأَدْيَـانِ مِقْياسًـا لَهـا قُوتِلْـتَ مِـنْ غِـرٍّ، بِـلا مِقْيـاسِ
«غسَّـانُ» قَبْـلَ سِـواهُ مِـنْ أَقْيَالِهـا[1] وبَنُـوهُ عُـرْبُ دَمٍ وعُـرْبُ حَـواسِ!
سُـورِيَّةٌ وَطَـنٌ لَهُـمْ مِـنْ قَبْـلِ أَنْ تُـبْلَى بِـأَيِّ مُخَلِّـطٍ لَبّـاسِ
يـا مَـنْ تَخَيَّـلَ نَسْـلَهُ فِيهـا دَخِيـ ـلًا خَـلِّ عَنْـكَ مَراكِـبَ الخُنّـاسِ
لَـيْسَ الـدَّخِيلُ عـلى الـبِلادِ أَصِـيلَها بَـلْ مَـنْ سَـعَى بالغِـلِّ والوَسْـواسِ

❁❁❁

أَهْـوَى العُرُوبَـةَ لَا كَـما يَهْوَوْنَهـا تُبْنَـى عَـلى دِيـنٍ لَهـا كأَسـاسِ
أَهْـوَى العُرُوبَـةَ أَنْ يَكُـونَ أَساسُـها حَقًّـا، يُسـاوِي أَحْمَـدًا بِإِيَـاسِ
صِـدْقُ العُرُوبَـةِ لا يُطِيـقُ تَكَـتُّلًا فـي الـدِّينِ مِنْهـا مُفْزِعًـا بِلِبـاسِ
أَهْوَى العُرُوبَـةَ، فـي ثَقافَتِهـا وفـي الـ أَخْـلاقِ، والآدابِ، ذات جِنـاسِ
مَـنْ يَطَّلِبْهـا فَلْيُجـانِسْ بَيْنَهـا إِنْ رامَ أَنْ يَبْنِـي البِنـاءَ الـرّاسي
يـا لَلْعُرُوبَـةِ! والعُرُوبَـةُ هَيْكَـلٌ كَـمْ فِيـكِ مِـنْ مُسْـتَعْرِبٍ دَسّـاسِ!

[1] مِنْ أَقْيَالِهَا: من مُلُوكِها.

قافية اللام

رابِطَةُ الأُدَباء[1]

(من السَّريع)

قـــالُوا: غَـــدَتْ لِلأُدَبـــا رابِطَـــةْ فَقُلْـتُ: عَيْشــي طـابَ لــي لَـوْ يَطُـولْ

يــــا حُسْــــنَها مُغْدِقَـــةً باسِــــطَةْ رَواءَهــــا فَتَسْـــــتَنِيرُ العُقُــــولْ

وتَبْسِـــــمُ الـــــدُّنْيا ومــــا فِيهـــــا

❁❁❁

يــــا دارُ، يــــا مُنْتَجَعًــــا لِلأَدِيـــبْ مـــا جِئْتُهــا بـــالزَّفْرَةِ الـمُحْـرِقَـــةْ

شَـــمْسُ حَيــاةٍ آذَنَــتْ بالـمَغِـــيب جــاءَتْ تُحَيِّـي شَمْسَــها الـمُشْـــرِقَةْ

طاوِيَـــــــةً كُـــــــلَّ مآسِـــــيها

❁❁❁

كُـــــلُّ أَدِيـــبٍ مُزْهِــــرٍ بَيْـــنَكُمْ يَغْـــذُو جَمـــالَ الــرُّوحِ أَنْغامَـــهُ

فَهَــــلْ أَرَى بَعْـــدُ اضْـطِبارًا لَكُــمْ عَـــلى فَتًـــى يَبُــــثُّ آلامَـــهُ

وبُرْؤُهـــــا أَعْجَـــــزَ آســـــيها؟

❁❁❁

يــا مَعْشَــرَ الصَّــفْوِ وحُلْـوِ السَّــمَرْ سَـــــهْراتُكم بــــالخَيْرِ مِــــدْرارَةْ

رابِطَـــةٌ أَنْـــتُمُ الاثْنــا عَشَـــرْ أَمْ أَنْـــتُمُ أَوْتـــارُ قِيثـــارَةْ

---

[1] أدبنا وأدباؤنا فـي الـمَهاجر الأمريكيَّة، جورج صيدح، ص٤٨٨.

«وصَـــــــيْدَحٌ» قَـــــــوْسٌ يُناغِيهــــــــا؟

❁❁❁

يَحْنُـــــو عـــــلى أَلْحانِهــــا نــــاشِرا بَــيْنَ الـــمَلا مِــنْ عَرْفِهــا كُــلَّ طِيــبْ

ويَنْضَـــــحُ الصُّــــحُفَ بِهـــا نـــاثِرا قَلائِـــدَ الـــدّرِّ النَّضِــــيدِ الرَّطِيــــبْ

يَنْشُــــــقُها النَّــــــاسُ أَفاوِيهـــــــا[1]

❁❁❁

قِيثـــــــارَةَ الأَرْواحِ إِنْ تُـــــــوقِعي لا تَعْزُفــــــي إِلّا نَشِــــيدَ الخُلُـــــودْ

عَــــلَّ بِـــلادَ الشّـــامِ يَوْمًـــا تَعِـــي لَحْنًـــا يُـــدَوِّي مِـــنْ وَراءِ الحُـــدُودْ

فـــــي ســـاعَةِ الجُــــلَّى يُنَخِّيهــــا

❁❁❁

فَيـــا رِفـــاقي «الضَّـــادُ» قَـــدْ أَوْشَـــكَتْ مِـــنْ عِلَّـــةِ التَّفْـــرِيطِ أَنْ تَنْـــدَثِرْ

صَـــحْوَةُ بَعْــثٍ مِـــنْكُمُ - بُورِكَـــتْ - أَخــافُ تُمْســي صَــحْوَةَ الـمُحْتَضِـــرْ

وتَفْقِـــــدُ الفُصْـــــحَى أَمانِيهــــــا

---

[1] أَفَاوِيه: جمع أفْوَاه.



شاعِرِ الإِلْهام[1]

(من الرَّمل)

مَتِّـــعِ الطَّـــــرْفَ مَلِيًّـــــا وَاجْتَـــــلِ   طَلْعَـــةَ البَـــدْرِ، وأُنْـــسَ الــــمَحْفَلِ
أَيُّهـــــا الزَّاهِـــــدُ فـــــي القَـــوْلِ أَلَا   إنْ وَجَــــدْتَ اليَـــوْمَ قَـــوْلًا فَقُــــلِ

❁❁❁

شـــاعِرَ الإِلْهـــامِ أَزْمَعْـــتَ النَّــوَى   لَيْـــتَ لَـــوْ لَـــمْ تَـــكُ بالـــمُسْتَعْجِلِ
شـــاعِرَ الرِّقَّـــةِ كَـــمْ يُخْجِلُنِـــي   لَـــكَ تَـــوْدِيعِي، ولَـــمْ أَسْـــتَقْبِلِ!
أَشْـــهُرٌ مَـــرَّتْ ومـــا اسْـــتَطَعْتُ وَفـــا   فـــاغْتَفِرْ لي واجِبًـــا لَـــمْ أُكْمِـــلِ

❁❁❁

شـــاعِرَ الإِعْجـــازِ إِنْ جِئْـــتَ الحِمَـــى   حَـــيِّ أَرْبـــابَ الحِمَـــى .. بالقُبَـــلِ!
ناشِـــــدِ الأَبْطـــــالَ أَلّا يُغْمِـــــدُوا   دُونَ مـــا ثـــائِرٍ شِـــفارَ الأَنْصُـــلِ
وَارْفَـــعِ الصَّـــوْتَ وأَطْلِـــقْ صَرْخَـــةً   تَتَلَظَّـــى فـــي وُجُـــوهِ الغُفَّـــلِ

❁❁❁

حَـــيِّ عَنِّـــي «أَكْرَمًـــا»[2]، حَـــيِّ بِـــهِ   ثَـــوْرَةً أَرْقُبُهـــا مِـــنْ بَطَـــلِ

---

[1] مجلَّة الـمواهب الـمهجريّة، السنة الرابعة، العَدَد ٩، آذار/ مارس ١٩٤٩ م، ص٣٥، ٣٦. أَلْقى الشاعرُ هذه القصيدةَ في حفلة وداع الشاعر الـمَهْجري أحمد سُلَيْمان الأَحْمد في بوينس آيرس، بتاريخ ٢١ كانون الثانـي/ يَناير ١٩٤٩ م.

[2] ربّما يشير إلى أكرم حورانـي، السياسي السُّوري البارز الذي أسّس الحزبَ العربـي الاشتراكي.

ضِرَمًـــا يَبْعَثُهـــا مِـــنْ رُوحِـــهِ ولَظًّـــى مِـــنْ «بَـــدَوِيِّ الجَبَـــلِ»[١]

❁❁❁

وَاطَّـــرِحْ ذِكْـــرَ مُلُـــوكٍ سَـــوَّدُوا الْـــ ـوَجْـهَ فـــي مـا بَيْـنَهُمْ مِـنْ دُخَـلِ

خُـــطَّ يـــا تـــارِيخُ سَـــطْرًا خالِـــدًا يَتَمَشَّـــى فـــي جَبِـــينِ الأَزَلِ

اِبْـــنُ بِنْـــتِ العَرَبِـــيِّ الـــمُصْطَفَى خَـــذَلَ العُـــرْبَ ولَـــمّا يَحْفَـــلِ

كَيْـــفَ يَصْـــفُو عَيْشُـــهُ إِنْ سَـــلِمَتْ رُوحُـــهُ مِـــنْ أَرْوَعِ مُسْتَبْسِـــلِ!؟

كَيْـــفَ يَلْقَـــى جَـــدَّهُ مُسْـــتَقْبِلًا وَجْهَـــهُ فـــي حَضْـــرَةِ اللهِ العَلِـــيِ!؟

كَيْـــفَ يَلْقَـــى وَجْهُـــهُ سَـــبْطًا لَـــهُ شَـــذَّ عَـــنْ آيِ الكِتـــابِ الـــمُنْزَلِ!؟

❁❁❁

خُـــطَّ يـــا تـــاريخُ سَـــطْرًا آخَـــرًا عَـــنْ مَلِيـــكٍ مُلْتَـــوٍ مُعْتَـــزِلِ

مَلِـــكِ البِـــتْرُولِ فِـــيما بَيْنَنـــا إِنَّـــما البِـــتْرُولُ عِـــزُّ الـــدُّوَلِ

فَعَـــلامَ اخْـــتَرْتَ فـــي تَصْـــرِيفِهِ حَطَّـــةَ العَبْـــدِ أَمـــامَ الـمُعْتَلِـــي

بـــائِعَ الزَّيْـــتَ لَقَـــدْ بِعْـــتَ بِـــهِ شَرَفَ العُـــرْبِ، فَيـــا لِلْخَجَـــلِ

❁❁❁

يـــا مُلُوكًـــا جَبُنُـــوا حَسْـــبُكُمْ بَعْـــدَ حَـــربٍ ذِلَّـــةُ الـــمُنْخَذِلِ

فـــي غِنًـــى عَـــنْكُمْ، فإِنّـــا وَحْـــدَنا سَـــوْفَ نَجْـزِي الكَـوْنَ إِنْ لَـمْ يَعْـدِلِ

---

[١] لقب الشاعر الـمعروف والسِّياسي السُّوري محمّد سليمان الأحمد.

الأديبُ والشاعر الـمَهْجَري

داود شكّور





كان داود شكّور أديبًا وخطيبًا بالـمقام الأوّل، لكنّه نظمَ الشعر وأتقنه. وقد سعيتُ إلى جمع ما أمكنني من شعره، لأنّ هدفي الرئيسي كان ذلك؛ ولكنّني ذكرتُ مقتطفاتٍ من بعض خطبه لتبيان براعته فـي النثر.

حياتُه وسيرتُه الأدبيّة

وُلدَ داود شكّور فـي حمص فـي ١٩ نَيْسان/ أبريل سنةَ ١٨٩٣ م[١]، والدُه الخوري نقولا شكّور ووالدتُه السيّدة كَلْثم شكّور، وعائلةُ شكّور عريقةٌ فـي حمص وعكّار والشّام ومصر. نشأ داود فـي ظلّ عائلةٍ مثقّفة وواعية، ونبغَ منذ حَداثة سنّه، وتميَّز بينَ رفاقه بذكائه وتوقُّد ذهنه، وقد تعلّم فـي الـمَدارِس الأَرْثوذكسيّة بحمص. كان يميل منذ صغرِه إلى الكتابة

[١] سنةُ ميلاده هذه مستندةٌ إلى ما ورد فـي كتاب: أَدبُنا وأُدَباؤنا فـي الـمَهاجِر الأمريكيَّة، جُورج صيدَح، ص٤٣٨. بينما جاء أنّ ميلادَه كان سنةَ ١٨٩٦ م فـي كتاب: الناطِقُون بالضّاد فـي أَمريكا الجنوبيَّة، البَدوي الـمُلثَّم (يَعْقُوب العودات)، الجُزْء الثانـي، دار ريحانـي، بَيْروت، ١٩٥٦ م، ص٣٤٩. والراجحُ عندي أنّ ما ذكره جورج صيدح هو الأَصْوب، فقد أكّد ذلك زميلُه فـي الـمهجر الشاعر نبيه سلامة (انظر: ديوان أَوْتار القلوب، نبيه سلامة، سان باولو، البرازيل، ١٩٧٣ م، ص٢٥٩؛ وكتاب: داود شكّور – أَديب وخَطيب، تَنْسيق وجمع: نبيه سلامة، دار الـمَراحِل للطباعة والنشر، سان باولو، البرازيل، ١٩٧٠ م، ص٣). ومن الجدير بالذكر أن جُلّ الـمعلومات الـمذكورة عن هذا الأديب مُسْتقاة من مقدّمة كتاب جرّة الـمنّ للأديبة الـمَهْجرية سلوى سلامة أطلس (انظر: جرّة الـمنّ، سلوى سلامة أطلس، دار الطباعَة والنَّشْر العربيَّة، سان باولو، البرازيل، ١٩٣٠ م، الـمقدّمة بعنوان «إلى الأستاذ داود شكّور»). وما لفت انتباهي أنّ الـموقعَ الإلكترونـي لـمركز موييز خير الله لدراسات الانتشار اللبنانـي أشار إلى أنّ كتاب «جرّة الـمنّ» صدر سنةَ ١٩٣٠ م، لكن ذُكر فـي الـمقدّمة ما يشير إلى أنّه صدر بعدَ ذلك لوجود خبرٍ فـي عددٍ صادر سنةَ ١٩٣١ م عن جريدة «فتى لبنان»، ولذلك أعتقد أنّ هذا الكتابَ صدر بعدَ تلك السنة، غيرَ أنّ الكتابَ لم تُذكر فيه سنةُ صُدوره.



والنظم، وإلـى الحساب والعلوم الرياضية، وقد برعَ فـي كليهما. كما اشتُهر بحافظة قويّة وذاكرة وَطيدة.

هاجر إلى البرازيل سنةَ ١٩٠٨ م، وفيها أَخذَ يدرس مسكَ الدفاتر ليلًا فـي الـمَعْهد التّجاري، فنالَ شهادتَه فـي أقلَّ من عام، "كما اشتركَ فـي تحرير جريدة الـمَناظِر لنعّوم لبكي؛ ثمّ غادرها بعدَ ذلك سنةَ ١٩٠٩ م إلى مصر حيث مكثَ فيها ثلاثَةَ أعوام يعمل فـي التجارة. ولكنّه عاد إلى البرازيل سنةَ ١٩١٢ م، ولم يكتفِ بما تعلّمه فيها سابقًا، فدرس بعدئذٍ فـي ثلاث سنينَ متوالية العلومَ التجارية والاقتصادية ليلًا فـي الـمدرسة التجارية حتّى نال شهادتَها سنةَ ١٩١٧ م، وأتقن اللغةَ البرتغاليّة. وقد افتتح محلًّا تجاريًا سنةَ ١٩٢١ م بعد أن عملَ فـي محلّات تجاريّة كبرى، وظلّ يمارس التجارةَ طوالَ حياته"[١].

كان داود شكّور متفوّقًا فـي العلوم الرياضية حتّى إنّ أستاذَه فَرَنْسيسكو داوريا (ناظِر الـمالية آنذاك) كان معجبًا بحلٍّ رياضي لم يهتدِ إلى حلّه سِواه من رفاقه، فطلب إليه أن ينشرَه فـي مجلّة العلوم الحسابية فـي أواخر سنة ١٩١٧ م، فنشر الـمقالَ وقتئذ؛ وانتهت الدروسُ وانصرفَ داود إلى أعماله التجارية كسببٍ من أسباب الحياة. وقد شهدَ بنبوغه الرياضيّ أكثر من أستاذ فـي الـمؤسَّسات التي درس فيها. ورغم أنّه برّ الكثيرَ من مدرّسيه ومعلّميه، لكنّه لم ينسَ فضلهم وظلّ يعترف بما قدّموه له على الدوام، حيث كان يقول فـي مجالسه وخطبه "يوسُف شاهين علّمني الصرفَ والنحو والإعراب، وحبيب سلامة تفسيرَ التوراة والإنجيل،

[١] انظر: داود شكّور – أديب وخطيب، تَنْسيق وجمع: نبيه سلامة، ص٣.



وشاكر سلّوم الرياضيّات والخطابة، والخوري عيسى أسعد البيانَ والعروضَ ... إلخ"[1]. وقد كتب الأديبُ يعقوب العودات (البدوي الـملثّم) له ذات مرّة "يَمينًا يا أستاذ لو بقيت في الوطن الأوّل، وواصلت جهادَك الأدبي، لكنت أحدَ أعضاء الـمَجْمَع العلمي العربي بدمشق. ولكنّ رحيلَك إلى الـمَهْجر حرمَ اللغةَ والأدب من جهاد شخصيّة فذّة موهوبة ..."[2].

أُولِع داود شكّور بالـمطالعة والقراءة، فقد كان يقرأ ما طاب له من الكتب التاريخيَّة والأدبية والاجتماعية، بل وكثيرًا ممّا كانت تقع عليه عيناه. وقد عمرت مكتبتُه بالكتب النادرة والـمتنوّعة التي أحسن ترتيبها وتنسيقَها وتهذيبها. ولولا تجارتُه الرائجة التي أشغلته عن التأليف، لأخرجَ إلى النور مؤلّفات قيّمة، ذات بهجة ومنفعة. ومع ذلك، فقد عُنيَ بالتراجم، ومن ترجماته إلى البرتغالية قصيدة «حضن الأمّ» للشاعر القروي، ثمّ تُرجمَت هذه القصيدة من البرتغالية إلى لغاتٍ أخرى، وصارت قصيدةً عالـميّة.

لم يكن شكّور منغلقًا ولا متعصّبًا، فقد أحبَّ مدينتَه بكلِّ أطيافها، وأفاضَ من حبِّه حبًّا آخر شمل وطنَه الصغير سوريَّة، ووطنَه الأكبر على مساحة العروبة التي عشقَها وتغنّى بها، وقد أعرب عن ذلك ذات مرّة حين قال منتزعًا عن عَمدٍ وغاية بعضَ كلماته من حديثٍ للنبي العربي محمّد عليه الصلاة والسلام «لو وَضَعوا الشمسَ في يميني والقمرَ في يَساري لـما اعتززتُ بهما اعتزازي بعُروبتي التي أيّدها النبيُّ الهاشميّ برسالته، وكانت للمسلم عقيدةً،

[1] انظر: داود شكّور – أديب وخطيب، تَنْسيق وجمع: نبيه سلامة، ص٤.

[2] انظر: داود شكّور – أديب وخطيب، تَنْسيق وجمع: نبيه سلامة، ص٧.



وللمسيحيّ العربـي تراثًا رفعَ رايةَ العرب ورفعَ كرامتها»[١].

ومن بليغ خطبه ما جـاء فـي تأبينِه الشـاعرَ الـمَهْجري فوزي الـمعلوف، وقد زيّن تلك الديباجة بمقدّمة بالغة الأثر، رفيعة اللغة والبيان، ناصعة الدليل على اعتزازه بتاريخه وعروبته، وبمنزلة الشعر عندَ العرب، وفيها يقول: «أمّةٌ طيّبة الأعراق، وثّابة إلى ذرى الـمجد، حرّة سبّاقة إلى تَوَقُّلِ معارِج الشرف، نشرت لواءَ عزِّها الباذخ فوق هامات الشعوب، وحرّرت ذيولَ افتخارها فـي الأمصار والـممالك، ثلّت عروشَ القياصرة، ودحرجت تيجانَ الـملوك، واستولت على خزائن كسرى. تلك الأمّة التي كانت تنادي خليفتَها غيرَ هيّابة يا عمر! تلك الأمّة التي سجدت لسطوتها ملوكُ الأرض وأَقْيالها، ما رأيناها تسجد فـي جاهليّتها إلّا للمعلّقات السبع، وفـي إسلامها إلّا لـمبدع السماوات والأرض ... فلو امّحى من الأسفار تاريخُ أمّة من الأمم، ولم يبقَ بين أيدينا إلّا دواوين شُعرائِها، لرأينا تاريخَ تلك الأمّة، بعاداتها وأخلاقها، بمدنيّاتها وآدابها، مرسومًا بحروف جليّة تترقرق منسابةً كغدران الكوثر فـي ثنايا تلك السطور الخالدة التي أنزلها الوحيُ على ألسنة الشعراء»[٢].

ويمضي داود شكّور متفنّنًا فـي خطبه، تاركًا وقعًا بليغًا لكلماته قلَّ أن يمتلكَ زِمامَه خطيب؛ ففي خطبةٍ له بعنوان «الهَيْكل» ألقاها فـي الـمَيْتم السوري بمدينة سان باولو سنةَ ١٩٣٣ م قال:

"فما تُرانـي أقـول فـي هذه الحفلة؟ أَأَقصُّ عليكم حكايةَ ابـن الخطّاب والعَجوز، وكيف حملَ الدقيقَ على ظهره، وكيفَ طبخَ منه للصبية الجائعين، وكيف بكى من هَوْل يوم الحساب!؟

[١] انظر: داود شكّور – أديب وخطيب، تَنْسيق وجمع: نبيه سلامة، ص٢٣.

[٢] انظر: داود شكّور – أديب وخطيب، تَنْسيق وجمع: نبيه سلامة، ص٨٧ و ٨٨ و ٨٩.



أم تُريدون أن أتحدّثَ عن خليفة بطرس كيفَ يتصرّف بأملاك الفِرْدَوس وهي وَقفٌ على مثل هؤلاء الأيتام القاصرين!؟

أأتحدّث عن الحنان؟ وهو ذا هَيْكل الحنان يَضوعُ فـي جنباته بخورُ العاطفة الكريمة!

أأتحدّث عن الحبّ؟ وأنتم ترون رمزَ الحبّ الطاهر مرسومًا على جدران بيت الرفق والحنان!

أأتكلّم عن الجمال؟ وها أنوار جمال النفوس تفيضُ فيضانَ أنوار القبر الـمقدّس!

أتريدون أن أتكلّم عن الفضيلة؟ وها هيكل الفضيلة أبهى جمالًا من هيكل سليمان، وجدرانُه أشدّ روعةً من أعمدة مدينة الشمس التي بنتها يدُ الإنسان لعبادة الأوثان!

أتريدون أن أتكلّمَ عن الدموع؟ فأحجب عن أبصاركم بَسماتِ الأيتام!

أم أن أتحدّث عن السماء؟ وأنتم ترون فردوسًا أرضيًّا أمامكم!

أم عن الأنبياء؟ وأمامكم مهبط وحي الأنبياء!

قد يدور فـي خلدكم أنّني غاليتُ فـي الوصف إذ صوّرت لكم هذا البيتَ الصغير أَفْخم من قصر يَلْدز وأجمل هندسةً من قصر الحمراء، وما قصدت فخامةَ البناء ولا جمالَ الهندسة، وإنّما قصدتُ جمالَ الغاية التي لأجلها وُجِد البناء ولو كان مغارةَ بيتِ لحم"[1].

عُقِد أوّلُ اجتماع لتأسيس العصبة الأندلسية فـي مكتب داود شكّور التجاري، حيث كان من الـمؤسِّسين الأوائِل لـهذه الـمؤسّسة الأدبية الرائدة فـي البرازيل.

ترأَّسَ جمعيةُ الشّبيبة الحمصية وهو طالبٌ فـي الـمدرسة التجارية، وكانت الغايةُ الرئيسية للجمعية جمعَ الـمال وإرساله إلى معاهد حمص، فحوّر الغايةَ الأساسية خلال رئاسـته وحوّلها

[1] انظر: داود شكّور – أديب وخطيب، تَنْسيق وجمع: نبيه سلامة، ص١٠٢.



إلى مشروع مساعدة فـي البرازيل، فكانت النتيجةُ أن أَسَّست الجمعيةُ بعدئذ الـميتمَ السوري الذي سُمّي بعدَ ذلك مَيْتَم القدّيس جاورجيُوس، وكان داود شكّور رئيسَ الحفلة التدشينيّة الأولى لهذا الـمَعْهد.

فـي سنة ١٩٢٠ م، أصبح شكّور عضوًا عاملًا فـي الحزب الوطني السوري الذي أسَّسه الدكتور أسعد بشارة فـي حاضرة البرازيل، وعُيِّن مستشارًا فـي النادي الرياضي السوري بضعةَ سنين، وانتُخب سنةَ ١٩٣٣ م عضوًا فـي الـمجلس الأَرثوذكسي، ثمّ مستشارًا فـي الـمؤسّسة البرازيلية الأدبية الـمعروفة باسم الشاعر البرازيلي الكبير كاسترو أَلْفِس. وكان ينقل إلى العربية مقالاتٍ لأهم الكتّاب من اللغة البرتغالية، وقد نقل رواية «الأَوانِس والعَوانِس» لرانجل دي ليما إلـى العربية، وقدّمها إلـى جمعية الشبيبة الحمصية، فمُثِّلت فـي سان باولو ولاقت إعجابًا بالغًا حتّى أُعيدَ تمثيلُها عدَّةَ مرَّات، وجَعلَ ريعَها لصالح الجمعيّة. "وما عثر يومًا علـى رائعة من روائع الأدب البرازيلي إلّا نقلها مـن البرتغاليّة إلى العربيّة، ونشرها فـي أُمّـات الصحف العربيّة؛ كمـا حرصَ علـى برّهم والتواصل معهم ومساعدتهم عندَ الحاجة"[1].

كان داود شكّور خطيبَ الجالية الحمصية فـي أكثر حفلاتها، وكان شديدَ العناية بما يخطّه من كلمات تلك الخطب وعباراتها، يحرص على تَجْويدها وحَبْكها وضبطها إلى أقصى درجة، وبذلك كان يَأْسر الحاضرين الذي ينتظرون حديثَه بشوقٍ عارم ولهفةٍ لا تخفى. ولم يكن يحبّ الارتجالَ ولا يحبّذه ولا يسلك مسلكَه إلّا مضطرًا، وهو صاحب مقولة «الارتجال يَذهبُ بأناقة

[1] الناطِقُون بالضَّاد فـي أمريكا الجنوبيَّة، البَدوي الـمُلَثَّم (يَعْقُوب العودات)، الجُزْء الثانـي، ص٣٤٩.



الكلمة، ورجاحة الفكرة»[1]. وفضلًا عن ترؤّسه جمعيةَ الشبيبة الحمصية مرّةً، ترأّس النادي الحمصي - الذي شارك فـي تأسيسه - مرّتين، وكان الخطيبَ الرسمي عدّةَ سنين لهاتين الـمؤسّستين، وكانت خُطَبُه الشهيرة محطّ إعجاب الكثيرين، فتناقلتها أغلبُ الصحف العربيّة فـي البرازيل وبقيّة الـمهاجر وفـي الوطن، مثل «خُلُود الشعراء» فـي حفلة تَكْريم الشاعر القرويّ و «شاعر فـي طيّارة» فـي حفلة تأبين الأديب الـمَهجري فَوْزي مَعْلوف. "ومن الجدير بالذكر أنّ الحكومةَ البرازيليّة سنةَ ١٩٤٦ م طلبت من إدارة النادي تغييرَ اسمه وإبداله باسم آخر ينسجم مع لغة البلاد، فأخذ شكّور يجول ويصول، وتمكّن بفضل منزلته العالية الـمَرْموقة من الـمحافظة على اسم النادي دون أيّ تبديل"[2].

أقام داود شكّور علاقةً حسنة مع كثير من الأدباء، وقد عهد إليه بعضُهم بكتابة مقدّمات لكتب جديدة، فقدّم لكتاب «مختارات جورج أطلس»[3] وديوان شاكر سلّوم وغيرهما. ومع أنَّه نظمَ الشعر ونشر بعضَه، لكنّه لم يستكثر منه، بل كان يميل إلى النثر والخطابة.

آثر داود شكّور العزوبةَ فلم يتزوّج ليبقى طليقًا يصبّ جلّ اهتمامه على قضايا الـمصلحة العامّة، وتُوفّـي فـي سان باولو فـي ١ أيلول/ سبتمبر سنةَ ١٩٦٣ م، بعيدًا عن مدينته حمص التي بقيَ يحنّ إليها ويذكرها ويَشْتاقها حتّى لاقى وجهَ ربِّه الكريم، وأهدى ورثته مكتبته الثمينة إلى النادي الحمصي. وقد قال فيه زميلُه فـي الـمهجر الشاعرُ والأديب نبيه سلامة "كانَ

[1] انظر: داود شكّور - أديب وخطيب، تَنْسيق وجمع: نبيه سلامة، ص١١.

[2] انظر: جريدة حمص، عدد خاصّ بمناسبة مرور خمسين عامًا على تَأْسِيسها، ١٩٥٩ م، ص١٠٢.

[3] لـم أعثر على هذا الكتاب.



داوُد شكُّور من أَغْزر الأُدَباء عِلْمًا وأَعْمقهم تَفْكيرًا، وأَرقّهم عِبارة، وأَطْلقهم لسانًا. عاشَ لقومه أكثرَ ممَّا عاش لنفسه. وكان دأبُه أن يَسْعى لعمل، ويَرْفد مشروعًا، ويعزِّز جمعية. وفي هذا السَّبيل ظلَّ أعزبَ ليتفرَّغَ لتَحْقيق فكرته، وخدمة أمَّته. لقد علقَ بالأدب العربي فعجَمه درسًا وتَمْحيصًا، واقتنص محاسنَه، وراح ينثرها خطبًا رائعة، تُشنِّف الآذان، وتَسْتَبي القلوبَ؛ وخدم كلَّ مؤسّسة، وأسهم بتَأْسيس أَكْثرها. ومن أَلْمَعِ أعماله السعيُ لتأسيس العُصْبة الأندلسية التي كانت زهرةَ الأدب المَهْجري وعَلمَه الخفَّاق؛ وكان نائبَ رئيس العُصْبة اعترافًا بجهودِه"[١].

ورغم هذه السيرةِ اللامِعة للأديب داود شكور والشهرة الواسِعة والتاريخ العَطِر أغفلت ذكرَه الكثيرُ من المراجع المهجريّة أو اكتفت بحديثٍ مُقْتَضب عنه، حيث اقتصر تعريفُ كتاب «أَدبُنا وأُدَباؤنا في المَهاجِر الأمريكيَّة» لجُورج صيدَح به على بضعة أسطر، بينما لم يُفْرِد أدهم آل جندي في كتابه «أعلام الأدب والفنّ» مقالةً منفصلة عنه، وجاء ذكرُه في هذا الكتاب عابرًا في مقالاتٍ أخرى. كما أغفله عيسى الناعوري من كتابه «أدب المَهْجر»، وكذلك فعل الدكتور محمّد عبد المنعم خفاجي في كتابه «قصّة الأدب المَهجري»، وآخرون.

رثاه الشاعرُ المَهْجري موسى الحدّاد في قصيدة بعنوان «شَعْشِعِي الرَّاح»[٢]، حيث قال:

شَعْشِعِي الرَّاحَ يا عَذارَى المَعاني وَاسْكُبيها بِأَكْؤُسٍ مِنْ بَيانِ

[١] ديوان الشاعر المَهْجري نبيه سلامة، استدرك عليه واعتَنى به: د. حسّان أحمد قمحيّة، الطبعة الأولى، دار الإِرْشاد، ٢٠٢١ م، ص٤١٦.

[٢] ديوان الشاعر المَهْجري موسى الحدّاد، جمعه واعتنى به: د. حسّان أحمد قمحيّة، الطبعة الأولى، دار الحوار، ٢٠٢١ م، ص٨٨.

وَاسْـــقِنِيها شِـــعْرًا لَعَلِّـــيَ أَصْـــحُو مِـــنْ خُمـــارِ الزَّمـــانِ .. بَعْـــضِ زمـــانِ
إنَّ لِلشِّـــعْرِ نَشْـــوَةً أَيْـــنَ مِنْهـــا نَشْـــوَةُ الـــرُّوحِ عِنْـــدَ بِنْـــتِ الـــدِّنانِ
كـــانَ وَقْفًـــا عـــلى التَغَنِّـــي فأَمْسَـــى، بَعْـــدَ حِـــينٍ، وَقْفًـــا عـــلى الأَشْـــجانِ
أَسْـــمَعَ النّـــاسَ مِـــنْ حَـــزينِ القَوافِـــي غَـــيْرَ مـــا عَـــوَّدَ الزَّمـــانُ لِسانـــي

ꕥꕥꕥ

يـــا وَلِيـــدَ الإِلْهـــامِ يـــا بْـــنَ رَهِيـــفِ الْـــ ـــحِـــسِّ فـــي غَمْـــرَةِ الفَتَـــى الوَلْهـــانِ
مـــا أُرانـــي أَصُـــوغُكَ اليَـــوْمَ إلّا فـــي رِثـــاءٍ مـــا كـــانَ فـــي الحُسْـــبانِ
أُطْلِـــقُ الزَّفْـــرَةَ الـــمَدِيدَةَ حَـــرَّى بَـــيْنَ آنٍ فَـــوْقَ الطُّـــرُوسِ وآنِ
والـــيَراعُ الغَريـــدُ بـــالأَمْسِ يَبْكِـــي الْـــ ـــيَـــوْمَ مَـــنْ كـــانَ زِينَـــةِ الخِـــلّانِ
كـــانَ عَـــفَّ اللِّســـانِ شَـــهْمًا وَفِيًّـــا كـــانَ حُـــرَّ الـــيَراعِ ثَبْـــتَ الجَنـــانِ
كـــانَ بـــالرُّوحِ فاتِحًـــا عَرَبِيًّـــا كـــانَ فـــي النَّثْـــرِ فـــارِسَ الـــمَيْدانِ
كَـــمْ لَـــهُ وِقْفَـــةٌ تَهُـــزُّ الرَّواسِـــي ذادَ فِيهـــا عَـــنْ حُرْمَـــةِ الأَوْطـــانِ!

ꕥꕥꕥ

لَـــمْ يَضَـــعْ فـــي نِضـــالِهِ الحُـــرِّ يَوْمًـــا نُصْـــبَ عَيْنَيْـــهِ مُبْتَغَـــى النَّيْشـــانِ
حَسْـــبُهُ عَبْقَـــرٌ ومـــا نَفَحَتْـــهُ جَنَّـــةً مِـــنْ لآلِـــئِ التِّيجـــانِ
دُرَرًا مِـــنْ بَلاغَـــةِ النَّثْـــرِ تُـــزْرِي فـــي سَـــناها بالأَصْـــفَرِ الرَّنّـــانِ

ꕥꕥꕥ

حـــازَ فَضْـــلَ الغِنَـــى، فـــما أَخَذَتْـــهُ «كِبْرِيـــاءُ الغَنِـــيِّ» فـــي الإِنْســـانِ
كُنْـــتَ تَلْقَـــى تَواضُـــعًا وإِبـــاءً بَـــيْنَ جَنْبَيْـــهِ، إِذْ هُمـــا تَوْأَمـــانِ
خَـــيَّرَ النَّـــاسَ بَـــيْنَ حُلْـــوٍ ومُـــرٍّ فَتَمَشَّـــى عَـــلى دُرُوبِ الأَمـــانِ

مُسْتَقِيمًا فِي سَيْرِهِ، لا عِثارٌ عاقَهُ عَنْ بُلُوغِ أَسْمَى الأَمانِي
مَرَّ فِي هذِهِ الحَياةِ كَنَجْمٍ فِي الدَّياجِيرِ باهِرِ اللَّمَعانِ
شَعَّ دَهْرًا، وما تَطَلَّبَ أَجْرًا وهَوَى كالمُجاهِدِ المُتَفانِي

۞

إِيهِ «داوُد»! ما الحَياةُ سِوَى حُلْمٍ تَوَلَّى مَعاقِدَ الأَجْفانِ
فإِذا اسْتَيْقَظ الفَتَى بَعْدَ حِينٍ غارَ فِي وَحْشَةِ «المَقَرِّ الثَّانِي»
لَيْسَ حالٌ تَدُومُ ما دامَ حالُ الدْ دَهْرِ يَمْضِي فِي اللَّفِّ والدَّوَرانِ
كُلُّنا راحِلٌ إِلَيْهِ وتَبْقَى خالِداتٍ غُرُّ المَآتِي الحِسانِ

كما رثاه زميلُه الشاعر المهجري نبيه سلامة بقصيدة جاء تحت عنوان «يا لَوْعَةَ الضَّاد»[1]، وفيها قال:

تَرَكْتَ فِي القَلْبِ أَشْواقًا مُؤَرِّقَةً وغِبْتَ عَنَّا وفِي الأَذْهانِ لم تَزَلِ
يا لَوْعَةَ الضَّادِ لَمَّا نامَ سادَتُها كَثاكِلٍ مِنْ مَرارِ العَيْشِ فِي شُغَلِ
ففِي اليَراعَةِ دَمْعٌ غَيْرُ مُنْحَبِسٍ وفِي المَنابِرِ جُرْحٌ غَيْرُ مُنْدَمِلِ

شعرُه

بعد أن أدرجتُ بعضًا من خطب داود شكّور وأدبه، أعرض في الصفحات اللاحقة ما وجدتُه من شعره مرتّبًا بحسب القوافي.

[1] ديوان الشاعر المَهْجري نبيه سلامة، استدرك عليه واعتَنى به: د. حسّان أحمد قمحيّة، ص٤١٦.



قافية الباء

حَمّالةُ الفَضْل[1]

(من البَسيط)

يـــا أَيُّهـــا القَلَـــمُ الــــمُهْدَى إذا قَبَضَـــتْ عَلَيْـــكَ أَنْمُـــلُ ذا الأُسْـــتاذِ فَاتَّئِـــبِ[2]
والله والله مـــا صُـــغْناكَ مِـــنْ ذَهَـــبٍ حُبًّـــا بِمَفْخَـــرَةٍ تَـــدْعو إلى العَجَـــبِ
وَاعْلَـــمْ بِـــأَنّ يَـــدَ الأُسْـــتاذِ نَعْهَـــدُها حَمّالَـــةَ الفَضْـــلِ لَا حَمّالَـــةَ الـــذَّهَبِ

---

[1] الناطِقُون بالضَّاد فـي أمريكا الجنوبيَّة، البدوي الـمُلَثَّم (يعقوب العودات)، الجُزْء الثانـي، ص٣٥٠. تعود مناسبةُ هذه الأبيات التي نظمها داود شكّور سنةَ ١٩٢٢ م إلى أنَّه فـي تلك السنة أُقيمَت حفلةُ تَكْريم للراحل حنّا خبّاز فـي النادي الحِمْصي فـي سان باولو كما مُثّلت روايته الـمُعَرّبة «الأَوانِس والعَوانِس». وقبلَ تَمْثيلها حيّا الأستاذ داود الـمُحْتَفى به بكلمةٍ مُرْتَجلَة وقدّم له قلمًا مُذَهّبًا هديّةً من الجالية الحمصيّة فـي سان باولو واستهلّ كلمتَه بتلك الأبيات. وقد وضعتُ للأبيات عنوانًا من سِياقِها.

[2] وَأَب واتّأب: اسْتَحْيا.



قافية الدال

ما أَطْيَبَ الأَشْعار[1]

(مَجْزوء الرَّجز)

مـــــا أَطْيَـــــبَ الأَشْـــــعارْ كَخَمْـــــــــــــرَةِ العُنْقُـــــــــــودْ
كأَنَّهـــــــــا الـــــــــــمِزْمارْ يَشْـــــــــــدُو بِـــــــــــهِ داوُدْ

[1] انظر: داود شكّور – أديب وخطيب، تَنْسيق وجمع: نبيه سلامة، ص٩. جاء هذان البيتانُ ارتجالًا وتَعْقيبًا على بيتين فـي نهاية قصيدة لنبيه سلامة كان قد أَلْقاها فـي النادي الـحِمْصي سـنةَ ١٩٤٢ م فـي حفلة إكراميّة أُقيمَت للسيّدة ماري حلبي عطيّة.



كُنْ بالسِّـرِّ مُنْفَرِدا[1]

(من البسيط)

«مـا كُـلُّ مَـنْ يَـدَّعي الإِخْـلاصَ ذا ثِقَـةٍ» كَـمْ مُــبْرِمٍ لِلْوَفـا عَهْـدًا يَخُـونُ غَـدا!

مــاذا الصَّــديقُ لِيَــوْمِ البُــؤْسِ تَــذْخَرُهُ «ولَا عَــدُوُّكَ مَــنْ أَقْصــاكَ وَابْتَعَــدا»

«كَـمْ مِـنْ صَـمِيمٍ وَفـيٍّ خِلْتُـهُ بَغِضًـا» فَـاخْتَرْ وجَـرِّبْ، وكُـنْ بالسِّــرِّ مُنْفَـرِدا

مَــنْ ذا الأَمِــينُ عَــلى الأَسْرارِ أُطْلِعُــهُ «فكَــمْ عَــدُوٍّ بِــأَثْوابِ الــوَلاءِ بَــدا!»

---

[1] انظر: داود شكّور – أديب وخطيب، تَنْسيق وجمع: نبيه سلامة، ص٩. جاءت الأبياتُ خارجَ قوسين تَشْطيرًا من الأديب داود شكّور لأبيات للأديبةِ الـمَهْجريّة سلوى سلامة.



قافية الراء

الحِجاب[1]

(من الوافِر)

أَفِيقِي يا فَتاةُ مِنَ الغُرُورِ ... ولا تَخْشِي المَلامَ مِنَ السُّفُورِ
حِجابُكِ إِنْ يَكُنْ لا بُدَّ مِنْهُ ... فمِنْ أَدَبٍ بَدِيلًا عَنْ حَريرِ
دَعِي عَنْكِ التَّبَهْرُجَ والتَحَلِّي ... وفي طُرُقِ الخَلاعَةِ لا تَسِيري
فزِينَتُكِ التي لا بُدَّ مِنْها ... عَفافٌ نَزِّهِيهِ عَنِ الفُجُورِ
إذا كانَ الجَمالُ سِلاحَ خُودٍ ... فإِنَّ مَصِيرَها شَرُّ المَصِيرِ
فبَعْدَ غَدٍ جَمالُكِ مُضْمَحِلٌّ ... ولا يَبْقَى لِنَفْسِكِ مِنْ نَصِيرِ

꧁꧂

إِلَيْكَ أَبا الفَتاةِ أَسُوقُ قَوْلي ... فلا تَأْبَ النَّصِيحَةَ مِنْ نَظِيري
بَلانا أَنَّنا ظُلْمًا تَرَكْنا ... عُقُولَ بَناتِنا مِنْ غَيْرِ نُورِ
فسادَ الجَهْلُ فِينا فَانْثَنَيْنا ... وقَدْ شُمْنا بأَنَّا في قُصُورِ
جَعَلْنا الخَزَّ لِابْنَتِنا حِجابًا ... فما أَدْناهُ مِنْ سُكْنَى القُبُورِ
فيَا لَكَ مِنْ حِجابٍ لا يَقِينا الْـ ... ـلَذي يَخْشاهُ كُلُّ أَبٍ غَيُورِ
تَرَكْناهُنَّ لا مُتَعَلِّماتٍ ... سِوَى رَقْصٍ يَسُوقُ إلى الفُجُورِ

---

[1] جريدة حِمْص، السَّنة الثانية، السَّبْت ١٩ شباط/ فبراير و ٤ آذار/ مارس، ١٩١١ م، ص٢٠٦. نظم الشاعرُ هذه القصيدةَ في مصر قبلَ هجرتِه الثانية إلى البرازيل.

وقَلَّــــدْنا الغَريـــــبَ بِكُـــــلِّ أَمْــــرٍ وأَهْمَلْنـــا مِـــنَ العِلْـــمِ الضَّــــرورِي
نَــــرَى فَتَياتنــــا «مُتَبَرْنِطـــــاتٍ»[1] وعَـــنْ لُغَـــةِ الــبِلادِ لَفِـــي نُفُـــورِ

ꕥ

جَمالُـــكِ يـــا فَتـــاةُ عَفـــافُ نَفْـــسٍ وعِلْـــمٌ نـــافِعٌ، لا مِـــنْ قُشُـــورِ
فسِـــيرِي، والطَّهـــارَةُ خَـــيْرُ حَلْـــيٍ فــلا نَخْشَـــى عَلَيْـــكِ مِـــنَ السُّـــفُورِ

[1] إشارة إلى لُبْس البُرْنيطَة، وهي لباسُ أو غِطاء الرأس عندَ الفرَنْج أو الغَرْبيين، وجمعُها بَرانيط.



قافية الهاء

العَظَمَةُ الحَقِيقيّة[1]

(من البَسيط)

قَضَيْتَ عُمْرَكَ في الأَوْطانِ تَخْدُمُها فكُنْتَ خادِمَها الأَعْلى وراعِيها
لَوْ أَمْهَلَتْكَ المَنايا ما ترَكْتَ بِها دُورًا تَشِيدُ[2] إلّا كُنْتَ بانِيها
شَيَّدْتَ فِيها صُرُوحَ العِلْمِ مُعْتَمِدًا على مَواهِبَ جُلَّى كُنْتَ تَحْويها
أَجْهَدْتَ نَفْسَكَ في ما كُنْتَ تَبْذِلُهُ إنَّ الرِّئاسَةَ تُضْنِي مَنْ يُدانِيها
لا يَعْلَمُ الجُهْدَ إلَّا مَنْ يُكابِدُهُ ولا الرِّئاسَةَ إلَّا مَنْ يُعانِيها

[1] زَفَرات القُلُوب لِفَقْد الرَّاعي الصَّالح المَحْبوب، الخوري عيسى أسعد، ص٢٩٤. جاءت هذه الأبياتُ بمنزلة مقدِّمةٍ لخطبة في رثاء المُطْران أَثناسيُوس عطا الله، مُطْران حِمص للرُّوم الأرثُوذكس خلال المدّة ١٨٨٦-١٩٢٣ م.

[2] لعَلَّها تُشَاد.

المراجع

- الأُدَباء الشُّهداء فـي العَصْر التُّركي على يد جمال باشا السفّاح، محمّد حامِد شَريف، الطبعة الأولى، ١٩٩١ م.

- أَدبُنا وأُدَباؤنا فـي الـمَهاجِر الأمريكيَّة، جورج صيدح، الطبعة الرابعة، مكتبة السَّائح، طرابلس، لبنان، ١٩٩٩ م.

- الأديبة والشاعرة الـمهجريّة سلوى سلامة – حياتُها وأدبُها، د. حسّان أحمد قمحيّة، الطبعة الأولى، دار مهرات للعلوم، حمص، سوريّة، ٢٠٢٠ م.

- أعلام الأدب والفنّ، أدهم آل جندي، الـجُزْء الأوّل، مطبعة مجلَّة صوت سورية، دمشق، ١٩٥٤ م.

- جرّة الـمنّ، سـلوى سـلامة أطلس، دار الطباعَة والنَّشْـر العربيَّة، سـان باولو، البرازيل، ١٩٣٠ م.

- جريدة السَّمير الـمَهْجرية، السَّنة الواحدة والعشرون، العدد ١٧٨، الاثنين ٧ آب/ أغسطس ١٩٥٠ م.

- جريدة حِمْص، السَّنة الثانية، السَّبْت ١٩ شباط/ فبراير و ٤ آذار/ مارس، ١٩١١ م.

- جريدة حمص، عدد خاصّ بمناسبة مرور خمسين عامًا على تَأْسِيسها، ١٩٥٩ م.

- داود شكّور – أديب وخطيب، تَنْسيق وجمع: نبيه سلامة، دار الـمَراحِل للطباعة والنشر، سان باولو، البرازيل، ١٩٧٠ م.



- ديوان الشاعر الـمَهْجري موسى الحدّاد، جمعه واعتنى به: د. حسّان أحمد قمحيّة، الطبعة الأولى، دار الحوار، ٢٠٢١ م.

- ديوان الشاعر الـمَهْجري نبيه سلامة، استدرك عليه واعتَنى به: د. حسّان أحمد قمحيّة، الطبعة الأولى، دار الإِرْشاد، ٢٠٢١ م.

- ديوان الشاعر الـمهجري يوسُف صارمي، جمعه وقدّم له واعتنى به: د. حسّان أحمد قمحيّة، الطبعة الأولى، دار الحوار، سوريّة، اللاذقيّة، ٢٠٢١ م.

- ديوان أَوْتار القلوب، نبيه سلامة، سان باولو، البرازيل، ١٩٧٣ م.

- ذكرى الهِجْرة (رسالة الـمُهاجرين السُّوريين واللُّبْنانيين إلى إِخْوانهم الـمُتَخلِّفين - اعترافات وإذاعات)، تَوْفيق فَضْل الله ضَعُون، سان باولو، البرازيل، ١٩٤٦ م.

- زَفَرات القُلُوب لِفَقْدِ الرَّاعي الصَّالِح الـمَحْبوب، الخُوري عيسَى أَسْعَد، مَطْبعة السَّلامَة، ١٩٣٢ م.

- شعراء الـمَهْجر الجنوبـي، د. صَلاح الدين الهوّاري، الطبعة الأولى، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٩ م.

- صورة الهاشميين فـي الشعر الأردنـي الـمعاصر (١٩١٦-٢٠٠٢ م)، بشير عقاب على الحجاحجة، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنيّة، كلّية اللغة العربية، ٢٠٠٣ م.

- عواطف الأبناء نحو خَيْر الرُّؤَساء وأَعْطف الآباء «مَجْموعة تحتوي تاريخَ روفائيل هَواويني الدِّمَشْقي، أَسْقُف برُوكلن»، جَمْع: عمانوئيل أبو حَطَب، مطبعَة جَريدة مِرْآة الغَرْب، نيُويُورك، ١٩١٥ م.



- الكلمات الخالدة، سلوى سلامة، سان باولو، البرازيل، ١٩٢٣ م.

- مجلَّة الـمَواهِب الـمهجريّة، السنة الرابعة، العَدَد ٩، آذار/ مارس ١٩٤٩ م.

- مجلَّة الـمَواهِب الـمهجريّة، السَّنة السادِسة، العَدَد ٢ و ٣، حزيران/ يُونيُو ١٩٥٠ م.

- مُعْجَم أَعْلام النِّساء، محمَّد التونجي، الطبعة الأولى، دار العِلْم للمَلايين، بَيْروت، لبنان، ٢٠٠١ م.

- مُعْجَم البابطين لشُعراء العربيّة https://www.almoajam.org/lists/inner/2056.

- MAKING NATIONS, IN THE MAHJAR: SYRIAN AND LEBANESE LONGDISTANCE NATIONALISMS IN NEW YORK CITY, SÃO PAULO, AND BUENOS AIRES, 1913-1929، ستاسي د فَهْرنثولد Stacy D Fahrenthold (رسالَة دكتُوراه فـي التاريخ)، جامعَة نُورثستيرن Northeastern University، بُوسطُن، ٢٠١٤ م.

- الـمُغْترِبون، عبد اللطيف اليُونس، مطبعَة العرفان، صَيْدا، لبنان، ١٩٦٤ م.

- الناطِقُون بالضَّاد فـي أَمريكا الجنوبيَّة، البَدوي الـمُلثَّم (يَعْقُوب العودات)، الجُزْء الثانـي، دار ريحانـي، بَيْروت، ١٩٥٦ م.





فهرسة القصائد بحسب البحور

البَحْر — الصفحة

الأديب والشاعر المهجري جورج أطلس

الخفيف (١)

الشاعر والأديب المهجري حسني عبد الملك

الكامل (١)

الرمل (١)

السريع (١)

الأديب والشاعر المهجري داود شكّور

البسيط (٣)

الوافر (١)

مجزوء الرجز (١)

مــــــــا أَطْيَـــــــــبَ الأَشْـــــــعارْ كَخَمْـــــــــــــــرَةِ العُنْقُـــــــــــــودْ		٧٢



كُتُبٌ أخرى للمؤلِّف في الأدب المَهْجري

⌖ ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري حُسْني غُراب – أناشيد الحياة، دار الإرشاد، حمص، ٢٠١٩ م.

⌖ الشَّاعِر الـمَهْجري حُسْني غُراب – حياتُه وشعرُه، دار الإرشاد، حمص، ٢٠١٩ م.

⌖ ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري نَصْر سَمْعان، دار الإرشاد، حمص، ٢٠٢٠ م.

⌖ عتبات النصّ في ديوان الشَّاعر الـمَهْجري نَصْر سمعان، دار الإرشاد، حمص، ٢٠٢٠ م.

⌖ ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري بَدْري فَرْكوح، دار الإرشاد، حمص، ٢٠٢٠ م.

⌖ ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري نَدْرة حَدَّاد – أَوْراق الخَريف وقَصائِد أخرى (تَقْديم واستِدْراك وضَبْط)، دار الإرشاد، حمص، ٢٠١٨ م.

⌖ ديوان الشاعرة الـمَهْجريَّة سَلْوى سلامَة (تَقْديم وجَمْع وضَبْط)، دار مهرات، حمص، ٢٠٢٠ م.

⌖ الأديبة والشاعرة الـمَهْجريَّة سلوى سلامة – حياتُها وأدبها، دار مهرات، حمص، ٢٠٢٠ م.

⌖ ديوان الشاعر الـمهجريّ بِتْرو الطرابلسي، دار مهرات، حمص، ٢٠٢٠ م.

⌖ ديوان الشاعر الـمَهْجريّ صَبْري أَنْدريا، دار الإرشاد، حمص، ٢٠٢٠ م.

⌖ ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري ميشيل مَغْربي – أمواج وصخور، دار الإرشاد، حمص، ٢٠٢١ م.



⊕ ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري جميل حلوة، دار الإرشاد، حمص، ٢٠٢١ م.

⊕ ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري نسيب عريضة - الأرواح الحائرة وقصائد أخرى، دار الإرشاد، حمص، ٢٠٢١ م.

⊕ ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري نبيه سلامة - أوتار القلوب وقصائد أخرى، دار الإرشاد، حمص، ٢٠٢١ م.

⊕ ديوان الشَّـاعر الـمَهْجري يوسف صارمي (الطبعة الثانية)، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٢٣ م.

⊕ ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري موسى الحدّاد، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٢١ م.

⊕ ديوان الأديب الـمَهْجري عبد الـمسيح حدّاد، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٢٢ م.

⊕ ديوان الشاعر الـمَهْجري علي محمّد عيسى، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٢٢ م.

⊕ د. عبد اللطيف اليونس – حياتُه وأدبه، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٢٢ م.

⊕ ديوان الشاعر الـمَهْجري توفيق فخر، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٢٢ م.

⊕ ديوان الشاعر الـمَهْجري محمود صارمي، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٢٢ م.

⊕ أعلام الأدب الـمهجري السوري، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٢٣ م.

⊕ ديوان الأديبة الـمهجرية كاتـي صدقة زريق، دار الرؤية الجديدة، دمشق، ٢٠٢٣ م.

⊕ ديوان الأديب الـمهجري أمين مشرق، دار الرؤية الجديدة، دمشق، ٢٠٢٣ م.



⊕ ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري يوسف صارمي (الطبعة الثانية)، دار الرؤية الجديدة، دمشق، ٢٠٢٣ م.

⊕ ديوان الشَّاعر الـمَهْجري جورج أطلس (الطبعة الأولى)، دار الرؤية الجديدة، دمشق، ٢٠٢٤ م.

هذا الكتاب

لم يحظَ الكثيرُ من الأدباء الـمَهْجريين باهتمام الباحثين والدارسين، ولم يُجمع أدبُهم أو شعرُهم، وبقيَ طيَّ مجلّات الـمهجر وصُحُفه. وكلّما طال الزمن بيننا وبينهم ازدادت صعوبةُ جمع ذلك النتاج الأدبـي النفيس أو الوصول إليه. وقد حاولتُ فـي هذا الكتاب استدراكَ ما يمكن استدراكه من أعمال بعضهم، راجيًا أن يُتاح لي جمع الـمزيد منها فـي الـمستقبل.

